ليدرز Leaders
العربية
العدد 33 • السعر : 2،5 د.ت • سبتمبر 2018

الاحتكار في تونس

شبكاته تضرب الاقتصاد.. تسحق المستهلك.. وتتحدّى الدولة

ماذا يخفي السّخاء الصّيني إزاء القارّة الأفريقية؟

د. احميدة النّيفر
الجامعة و«بُؤس السياسة»

رشيد خشانة
نهاية صفقة باريس وولادة شراكة جديدة مع الشاهد

بقلم عبد الحفيظ المرقاز

أيّ خيارات استراتيجية للمستقبل؟

أين نحن اليوم في تونس من التنّين الصيني والنمور الآسياوية ومن بلد أفريقي كرواندا بعد أن راهنت بلادنا منذ استقلالها على الاستثمار في رأس المال البشري وعلى مكامن النموّ الممكنة في ظلّ ندرة الموارد الطبيعية ؟

لا نملك - للأسف - سوى الإقرار باتّساع الهوّة بيننا وبين هذه البلدان في حين كان الأمل معقودا في يوم من الأيّام على قدرة تونس على أن تكون أحد نمور أفريقيا والعالم العربي. وممّا يعمّق الشعور بخيبة الأمل الوقتُ الثمين الذي أضاعته البلاد، في السنوات الأخيرة، في المهاترات السياسية وإهدار طاقات وموارد ماليّة هامّة كان بالإمكان توظيفها في دفع التنمية وخلق الثروات والنهوض بالتشغيل.

لقد تأخّرت تونس ، في غياب المشروع السياسي الطموح والخيارات الاستراتيجية الكبرى ، في الاستثمار، بالقدر المطلوب ، في اقتصاد المعرفة والذكاء الاصطناعي وفِي القطاعات ذات القيمة المضافة القادرة على استيعاب أعداد وافرة من العاطلين عن العمل من ضمن حاملي الشهادات العليا . كما لم تلق قطاعات واعدة كالطاقات الجديدة والمتجدّدة والاقتصاد الأخضر والاقتصاد الأزرق الاهتمامَ الكافي لتُنْجز مشاريع تحدّ من تبعيّة البلاد في المجال الطاقي وتثمّن موارد البحر والأنشطة المرتبطة به وترتقي بالفلاحة إلى منزلة أفضل، مثلما لم ينل الاستثمار في البحث العلمي ما يستحقّه من بالغ العناية على الرغم من مردوديته الاقتصادية العالية.

ولئن يولي عدد من وحدات البحث في الوزارات ومراكز العصف الفكري ومنظّمات المجتمع المدني قدرا من الاهتمام لهذه القطاعات فإنّ صدى أصـــواتها يضيـــع في غوغاء السياسة وضجيـــج خطبـــائها.

ذلك أنّ الطبقة السياسية تبدو اليوم منشغلة بالدرجة الأولى بانتخابات 2019 ، فتكثّفت في الآونة الأخيرة تحرّكات يوسف الشاهد وتعدّدت قراراته استرضاء للرأي العام - وبعضها لا يخلو من طابع شعبوي- في حين انحصر هاجس خصومه في المطالبة برحيله عن قصر الحكومة.

ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ البلاد دخلت بصفة مبكّرة الزمن الانتخابي، ومعه أصبح من الصعب جدًّا تخصيص المدّة الفاصلة عن موعدي الانتخابات التشريعية والرئاسية لتنفيذ إصلاحات كانت ضرورية لإخراج البلاد من نفق أزمتها الخانقة ممّا يحدّ من هامش تحرّك الحكومة ويحصر دورها في تصريف الشأن اليومي ومواجهة الطوارئ في غياب رؤية استراتيجية يسندها حزام سياسي قويّ. وبالتالي لن تشهد الأشهر القادمة تنافسا بين برامج مختلفة بل من المرجّح أن تزداد وتيرة التجاذبات السياسية كلما اقترب الموعد الانتخابي.

وفي تقديرنا لا يمكن أن تكون انتخابات 2019 حاملة لتغيير جذري في مستوى المنجَز إذا لم يطرأ تعديل جوهري على القانون الانتخابي على نحو يسمح ببروز أغلبية برلمانية تقوم بتنفيذ البرنامج الذي انتخبت على ضوئه وإلّا ستكون الحكومة التي ستنتصب في مطلع 2020 ، حكومة محاصصة حزبية لا غير، أطرافها عاجزة عن الاتفاق حول أرضية عمل مشتركة، ممّا يعني احتمال إعادة إنتاج منظومة حكم بيّنت الأيّام عدم صلاحها.

في ظلّ الصراعات السياسوية المحتدمة وهستيريا المعارك الشخصية يغيب سؤال كبير: أيّ خيارات استراتيجية للمستقبل لجعل تونس ديمقراطية ثابتة الأركان وقوّة اقتصادية وتكنولوجية رائدة في منطقتها؟

أليس لنا في الصين وفي بلدان جنوب آسيا خير مثال في بناء القدرات وتثمين الموارد ؟

ع.ه

ليدرز العربية Leaders

مجلّة شهـــريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

مدير التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التّحرير

احميده النّيفر • رشيد خشانة • محمّد العزيز ابن عاشور • عبد اللطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري • عزالدين المدني • محمّد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل الأحمر • منذر بالضيافي • الصحبي الوهايبي • عامر بوعزّة • الحبيب الدريدي• توفيق جابر • المختار المستيسر • عادل كمّون• عادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قدية • عبد الدايم الصماري • حنان زبيس • خالد الشابي • نجاح الخرّاز

التصور والإخراج
أحـمـد الـشـارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صـور
ليـدرز حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقني

التسويق والاتصال
جيهان واز • بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الإسناد
شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي • لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
ساماباكت

PR Factory
مجمّع النّور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71
www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

متوفرّة على رحـلات
الخطوط التونسية TUNISAIR

الفـهـرس

الافتتاحيّة

• أيّ خيارات استراتيجية للمستـقـبـل ؟ 1
عبد الحفيظ الهرقـام

شؤون وطنيّة

• نهاية صفقة باريس وولادة شراكة جديدة مع الشاهد 12
رشيد خشانة

• ماذا يخفي السّخاء الصّيني إزاء القارّة الأفريقية؟ 14
توفيق الحبيّب

• الاحتكار في تونس : شبكاته تضرب الاقتصاد..
تسحق المستهلك.. وتتحدّى الدولة 18
خالد الشابي

• الـجـامعة و«بُـؤس السـيـاسـة» 26
د. احميدة النّيفر

مجتمع

• ثقافة الاغتصاب 28
منجي الزّيدي

• يوميّات مواطن عيّاش: ولّى شـاف...وشـي مـا شـاف! 30
عادل الأحمر

شؤون عربيّة

• آخر تطوّرات الحرب على اليمن :هل هي صحوة الضمير الإنساني؟
أم هو المكر السياسي الغربي المتجدّد؟ 34
محمّد ابراهيم الحصايري

38 ص

48 ص

جمعتني بمصطفى الفارسي (1931 - 2008) وشائج الصحبة والعمل المشترك، في حقول هامّة من الثقافة التونسيّة، منذ مطلع استقلال البلاد.عرفته، في سنة 1958 وهو في أوّل شبابه، لا يزال يتلمّسُ آفاق مستقبله. وهي فترة هامّة، بالنسبة إلى قادم نشاطه الفكري والأدبي.←

50 ص

لماذا كُتب على الفنّان أن يقايض حرّيته مقابل الانسلاخ عن وسطه وأهله وأحيانا أقرب الأشخاص إلى قلبه ليسمح لفنّه بأن يينع ويتفتّق؟ لماذا كُتب عليه أن يهرب من محيطه ويغامر بحثا عن محيط جديد لا يقيّد مواهبه بجملة من الأعراف والتّقاليد المسطّرة والمقنّنة والحادّة حدّة السّيف؟ ←

69 ص

«فتحيّة خيري، فنّ وشجن» عنوان كتاب جديد لفاخر الرويسي صدر هذه الأيام عن دار تونس للنشر. وهذا المؤلّف الذي يقع في 240 صفحة من الحجم المتوسّط مساهمة جادّة في التأريخ للحركة الثقافية والفنيّة في تونس ←

شؤون دوليّة

• **مـن أتـاتـورك إلى أردغـــان : مقاربة لفهم السياسة التركية الجديدة** 38
محمّد لسير

• **حاضرة الفاتيكان والإعلام الديني** 44
د. عز الدّين عناية

أعلام تونسيّون

• **مصطفـــى الفارسي رجل الثـقـافة الشـاملة** 48
الشّاذلي القليبي

ثقافة وفنون

• **في مئـويّـة حسيبـة رشـدي الـفـنّـانـة المتمـرّدة** 50
فوزيّة بلحاج المزّي

• **عالم حنـا مينـة الـــروائـي** 53
عامر بوعزّة

• **سماحـة الإسـلام من خـلال قصّة مـن التـراث** 56
محمّد ابراهيم الحصايري

من التّاريخ

• **الصّحـافة الأدبيّة في تونس حاضنـة الأدب الـتّونسيّ الحديـث** 58
د. الحبيب الدريدي

إصدارات

• **روايـة «عـام الفـزوع 1864» أحداث دامية هزّت الدولة التونسية** 61
حنان زبيس

• **فتحيّـة خيـري في كتاب مثير** 69
حنان زبيس

بطاقة

• **اللّغة الكمـبـوديّة على الـطّريقـة الـسّريعـة** 76
الضّحبي الوهايبي

زيارة لنواكشوط وجولة أفريقيّة على أجندة الشاهد

من المنتظر أن يزور يوسف الشاهد نواكشوط بمناسبة انعقادالدورة الثامنة عشرة للجنة العليا المشتركة التونسية الموريتانية التي تفتتح أعمالها يوم 21 أكتوبر القادم بإشراف رئيس الحكومة والوزير الأول الموريتاني . وستتوّج الدورة بالتوقيع على عدد من الاتفاقيات ومذكّرات التفاهم بعد أن يكون الخبراء قد قيّموا مسيرة التعاون الثنائي ووضعوا برنامجا تنفيذيا له.

وتأكيدا لحرص تونس على تعميق بعدها الأفريقي من خلال تعزيز عرى التعاون وتنمية المبادلات التجارية مع دول القارة يعتزم رئيس الحكومة القيام قبل موفّى السنة الجارية بجولة يزور خلالها الغابون والكاميرون وغينيا الاستيوائية.

الجهيناوي يرأس الوفد التونسي في نيويورك

يترأّس خميّس الجهيناوي وزير الشؤون الخارجية من 24 إلى 30 سبتمبر الجاري الوفد التونسي المشارك في الدورة الثالثة والسبعين للجمعية العامة للأمم المتّحدة والتي سيكون موضوع المداولات خلالها : «جعل منظمة الأمم المتّحدة منظّمة للجميع : قوّة عالمية مؤسّسة على تقاسم المسؤوليات في خدمة مجتمعات آمنة وعادلة ودائمة».

وتكتسي المشاركة التونسية في هذه الدورة أهمية بالغة إذ تُعدّ فرصة ثمينة لحشد الدعم لترشّح تونس لعضوية مجلس الأمن للمدّة 2020-2021 من خلال الاتصالات التي سيجريها وزير الشؤون الخارجية على هامش أعمال الدورة مع العديد من رؤساء الوفود ومختلف المجموعات الإقليمية. ولئن تنطلق تونس بحظوظ جدّ وافرة لنيل مقعد غير قارّ في هذا الهيكل الأممي الهامّ فإنّ الدبلوماسية التونسية ما انفكّت منذ أشهر تتحرّك في كلّ الاتجاهات لشرح دواعي ترشّحها وبسط مواقفها ورؤاها بشأن قضايا الأمن والسلم في العالم وتبيان الدور الذي تعتزم القيام به في خدمة هذه القضايا.

قمّة الفرنكوفونية بأرمينيا

تنعقد الدورة السابعة عشرة لقمّة الفرنكوفونية يومي 11 و12 أكتوبر القادم بعاصمة جمهورية أرمينيا الديمقراطية يريفان تحت شعار «العيش معا في كنف التضامن وتقاسم القيم الإنسانية واحترام التنوّع : مصدر سلام وازدهار للفضاء الفرنكوفوني». وتكثّفت في الأسابيع الأخيرة الجهود من أجل ضمان تنظيم جيّد لهذه القمة وإعداد الوثائق التي ستعرض عليها، إذ انعقدت في باريس في بداية جويلية الماضي الدورة 104 للمجلس الدائم للفرنكوفونية الذي اطّلع بالخصوص على مشاريع اللوائح ومشروع إعلان يريفان وأقرّ الاستراتيجية المرفوعة إلى القمّة من إجل تعزيز المساواة بين الرجل والمرأة وتمكين النساء والشابات والنهوض بحقوقهنّ.

والجدير بالذّكر أنّ قمّة الفرنكوفونية تنعقد كلّ سنتين ومن المقرّر أن تنتظم دورتها الثامنة عشرة بتونس في سنة 2020.

وزراء بن علي وطريقة حكمه في كتاب لمنير الشرفي

بعد كتاب له نُشر سنة 1988 بعنوان «وزراء بورقيبة» أصدر مؤخّرا الإعلامي والناشط الحقوقي منير الشرفي مؤلّفا عنوانه « وزراء بن عليّ، كيف حكم بن علي ومن معه؟» يتضمّن الكتاب الصادر عن دار سيريس للنشر بابين رئيسيين . يغطّي الباب الأوّل الذي يحمل عنوان «بن عليّ ، من الثكنة إلى المهجر» كامل فترة حكم بن علي منذ تولّيه السلطة في 7 نوفمبر 1987 إلى غاية مغادرته البلاد في 14 جانفي 2011 مع التوقّف عند محطّات اعتبرها الكاتب مفصليّة من بينها التوقيع على الميثاق الوطني والفترة الممتدة من انتخابات 1989 إلى سنة 1994 التي شهدت الإصلاح التربوي في عهد الوزير المرحوم محمّد الشرفي وعملية باب سويقة وزواج بن عليّ الثاني الذي مثّل في تقديره منعرجا في فترة حكمه،ثمّ سنوات الألفين التي طُبعت بالخصوص بلهفة عائلة بن عليّ وأصهاره على النهب وتفشّي الفساد وبروز حركة 18 أكتوبر 2005 وباندلاع انتفاضة الحوض المنجمي في جانفي 2008 التي شكّلت بداية نهاية النظام، أمّا الباب الثاني الذي يحمل عنوان «وزراء بن عليّ» فقد تناول هيكلة الحكومة وقدّم جردا لأعضائها والبالغ عددهم 203 أعضاء بين وزير وكاتب دولة منهم ثلاثة وزراء أول (الهادي البكّوش وحامد القروي ومحمّد الغنّوشي)، إضافة إلى معطيات عامّة عن أعضاء الحكومة من حيث الجنس (18 امرأة، أي بنسبة 8,8 بالمائة) ومدى استقرارهم (يتراوح بين 278 شهرا وشهر واحد، أي أنّ معدّل الفترة المقضاة لكلّ واحد منهم تبلغ 55 شهرا) وتوزيعهم حسب القطاعات التي أشرفوا عليها.

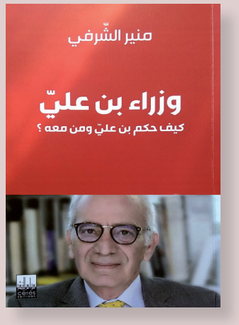

النسخة الإقليمية للمنتدى الاقتصادي للمرأة في أكتوبر القادم بتونس

تستعدّ وزارة المرأة والأسرة وكبار السنّ لتنظيم تظاهرة دولية هامّة تتمثّل في النسخة الإقليمية للمنتدى الاقتصادي للمرأة الذي تحتضنه تونس خلال شهر أكتوبر 2018 ومن المنتظر أن يضمّ المنتدى ما بين 150 و200 مشاركة من جنسيات مختلفة من نساء أعمال وأكاديميّات وباحثات وإعلاميّات.

الدورة الثامنة للصالون الدولي للبنوك والخدمات المالية من 3 إلى 6 أكتوبر 2018

تنظم الجمعية المهنية التونسية للبنوك والمؤسّسات المالية بالتعاون مع الشركة العامّة لتنظيم المعارض الدورة الثامنة للصالون الدولي للبنوك والخدمات المالية « Expo Finances 2018 » من 3 الى 6 أكتوبر 2018 بالمركز الوطني للمعارض بالشرقية بتونس العاصمة. وتنتظم على هامش هذه الدورة العديد من ورشات العمل حول مكاتب الصرف وتأمين وسلامة الاستخلاص عبر الوسائل الحديثة للاتّصال وكذلك شركات التكنولوجيا المالية. ورصدت لجنة التنظيم العديد من الجوائز لفائدة زوّار المعرض أهمّها سيّارة ودفاتر ادّخار وتخفيضات مهمّة لاقتناء المساكن في إطار برنامج المسكن الأوّل.

خمسينية اتحاد إذاعات الدول العربية في فيفري القادم

وافق المجلس التنفيذي لاتحاد إذاعات الدول العربية في اجتماعه الأخير على اقتراح وزارة الإعلام في جمهورية السودان تنظيم احتفالية للاتحاد بالخرطوم في مطلع شهر فيفري القادم ، بمناسبة مرور خمسين عاما على إنشاء هذه المنظمة العربية وتشكيل لجنة توكل إليها مهمّة إعداد تصوّر لهذه الاحتفالية، مكوّنة من رئيس الاتحاد والمدير العام للهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون السودانية ومستشار هيئة الإذاعة والتلفزيون السعودية والمدير العام للاتحاد.

والجدير بالذّكر أنّ اتحاد إذاعات الدول العربية يعدّ من أعرق منظّمات العمل العربي المشترك وقد انعقدت جمعيته العامّة التأسيسية في الخرطوم في فيفري 1969 ويوجد مقرّه حاليا بتونس بعد نقله من القاهرة في سنة 1979 بعد إبرام مصر اتفاقيات كامب دافيد مع إسرائيل.

ويوفّرالاتحاد خدمات مهمّة للهيئات الإذاعية والتلفزيونية الأعضاء والجهات الأخرى للاستفادة منها على غرار الخدمات الهندسية والاستشارية والتبادل التلفزيوني والإذاعي الإخباري والبرامجي والرياضي وتغطية الأحداث الكبرى في المنطقة العربية وخارجها والتدريب الإذاعي والتلفزيوني.

برج الضيافة بصفاقس

لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضّيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن مجموعة «النّزل ذات الطابع المميّز» من قبل Hôtel de Charme وزارة السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتتويجا لمجهود تطويري مكثّف. وتشترط الوزارة لمنح هذا التّرتيب العالي، المحافظة على المقوّمات المعمارية والتاريخية العريقة للبناية وإسداء خدمات مشخّصة تخضع لقواعد التّصرف الفندقي المحدّدة وذلك وفق القرار الوزاري المؤرّخ في 29 جويلية 2013.

كلّ هذه المتطلّبات وأكثر تتوفّر بامتياز في برج الضيافة الذي يقع على بعد 10 دقائق فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت وامتزجت هندسته المعمارية بالطّابع العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر مع النّقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيلة والتّحف بجماليّة رائعة، وتبقى كلّ أرجائه على اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضّيافة. وبقدر ما يشتهر برج الضّيافة بحسن القبول وكرم الوفادة، فإنّ مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق إيطالية أوروبية وغيرها،يحرص على إعدادها أمهر الطّهاة. وتوفّر غرف برج الضّيافة الفسيحة الإقامة المريحة للأفراد بكلّ مرافق الرفاهة والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنيت.

السرّ في برج الضيافة هو الحرص على أدقّ التّفاصيل والتّفاني في خدمة الزّائر وهو ما يثابر عليه كلّ العاملين في النزل، من الاستقبال إلى الإدارة العامّة، وفق معايير دولية حصلت على شهادة إثبات في الجودة من صنف ISO 9001 و ISO 22000 وتكمن دقة التفاصيل حتّى في تخصيص عون يتولّى ركن سيّارة الحريف بمأوى السيارات وأيضا مضيّفة تعتني باستقبال الحريف إلى حدّ إيصاله باب غرفته حيث وضعت على ذمته تشكيلة من الحلويّات الصفاقسيّة وسلّة فواكه طازجة وقارورة ماء معدني وكذلك نوعية موادّ عالية الجودة للتجميل والاستحمام، إلى جانب العديد من الخدمات المتميّزة الأخرى.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنظمة السّلامة والحراسة التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنا في الجهة، الشيء الذي يشجّع، فضلا عن الخدمات الراقية المسداة من قبل النزل، أكبر المؤسسات العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة أفرادها. للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصّة بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز، الوجهة المثلى لكلّ من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذّ الأطعمة والأكلات.

برج الضيافة
Borj Dhiafa
HÔTEL DE CHARME

برج الضيافة نزل ذو طابع مميز
طريق سكّرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: 777 677 74 216+
الفاكس: 777 676 74 216+

نهاية صفقة باريس وولادة شراكة جـديدة مـع الشـاهد

• بقلم رشيد خشانة

مات اتفاق باريس الذي توصّل له زعيما حزبي «النهضة» و«النداء» في باريس يوم 13 أوت 2013. مات في سنته الخامسة تقريبا، بعدما أنقذ البلاد من التدحرج نحو الحرب الأهلية، وأتاح من ثمّ إجراء أوّل انتخابات حرّة وشفّافة تقبَل الجميع نتائجها بلا اعتراضات تُشكّك في نزاهتها. غير أنّ الرأي العام في الداخل والخارج تفاجأ باتفاق الحزبين الغريمين على تشكيل حكومة ائتلافية بينهما، إلى جانب أحزاب أخرى، بعدما اقتربا من شفير الصدام أثناء الحملة الانتخابية. وسرعان ما تحولت الشراكة إلى شركة مبنيّة على المحاصصة تدُرّ الامتيازات الحصرية على الحزبين، وتضع بين أيديهما مفاتيح الحياة السياسية الوطنية. واستطاعت هذه الصيغة الصمود طيلة السنوات الماضية، بالرغم من تغيير رئيس الحكومة في 2016.

تعدّد الرؤوس

لكن لوحظ على مدى أسابيع من اجتماعات الأطراف المشاركة في حوارات قرطاج2 أنّ العلاقة الخاصّة بين الشيخين مؤسّس «النداء» ورئيس «النهضة» لم تعد مثلما كانت عليه من السلاسة والتفاهم المتبادل. واستطرادا فإنّ العلاقات بين المدير التنفيذي لـ«النداء» ورئيس «النهضة» لم تكن سالكة في أيّ وقت من الأوقات، لا بل شابتها أحيانا توتّرات لا تُنبئ بإمكان المحافظة على شراكة باريس مع الإدارة الجديدة لـ«النداء». فقد كانت هذه الشراكة مبنية على رؤية متطابقة تقريبا لإدارة دفّة الحكم في المرحلة الانتقالية، وإن كان أساسُها المحاصصة. أمّا مع القيادة الندائية الجديدة فلم يجد النهضويون مُحاورا مستقرّا، خاصّة في ظلّ الصراعات التي عصفت بالشريك، والتي أفضت إلى تعدّد الرؤوس التي يدعي كلٌّ منها وصلا بالشرعية. على هذه الخلفية بدأ التعاطي تدريجيا مع يوسف الشاهد على أنّه المُجسّد لتجربة التوافق والماسك بدواليب الحكم والمُواصل لروح اتفاق باريس. ويمكن القول إنّ هذا الموقف هو الذي غيّر العلاقة بين الشيخين، والتي باتت تغلب عليها التشكيات من «تمرّد» رئيس الحكومة. وبتعبير آخر فإن الشاهد في سياق هذا الموقع الجديد، لن يستقيل ولن يستطيع خصومُه تنحيتـه، طالما أنّه بصدد التحوّل إلى شريك جديد لـ«النهضة».

في المقابل، وجد النهضويون في جناح الشاهد داخل «النداء» مُحاورا يمكن الاتّكال عليه. وتعزّز هذا الاتجاه بعد تشكيل كتلة ندائية داعمة لرئيس الحكومة (الائتلاف الوطني)، وهي كتلة مُرشّحة للتوسّع بما يُوفّر للشاهد، مع نواب كتلة «النهضة»، الحزام الذي يحتاجه لضمان استمرار حكومته واستقرارها، إلى الانتخابات المقبلة. أمّا «النداء» فبالرّغم من محاولات الترقيع واستعادة بعض الوجوه القديمة، لن يبقى رقما في الساحة السياسية. والأرجح أن جسما سياسيا جديدا سيحلّ محلّه، ويكون هو مُعادل «النهضة»، وستتشكّلُ عجينتُه من أعضاء الكتلة البرلمانية الندائية الداعمة لرئيس الحكومة. والأرجح أيضا أنّ معظم إطارات الحزب الجديد ستأتي من المكّونات نفسها التي تشكّل منها «النداء» في 2012، وهي مزيج من التجمعيين والنقابيين والمنسحبين من الأحزاب اليسارية.

روزفلت وبرلينغوير

الظاهرُ أن التيّار الذي يقوده الغنوشي في «النهضة» والتيّار الذي يُمثله الشاهد في «النداء» مُقبلان على توافق جديد، يُحيي وفاق باريس 2013، لكن بشروط وصيغ مختلفة. وسيكون هذا التوافق نوعا من التفاهم الجديد A new deal بين حليفين قديمين على قواعد اللعبة. ويمكن وصف هذا التحالف، إذا تمّ فعلا، بكونه من التنازلات التاريخية التي كان القائد الشيوعي الإيطالي أنريكو برلينغوير E. Berlinguer من المُنظّرين البارزين لها في سبعينات القرن الماضي، في معرض تبريره للتفاهم مع غريمه اليميني حزب الديمقراطية المسيحية.

القوّة الأولى؟

في المُحصِلة، ومع تفكّك «النداء» وهزال الأحزاب السياسية الأخرى، فرضت حركة «النهضة» نفسها لاعبا رئيسيا في تحديد وجهة المسار الانتقالي خلال المرحلة المقبلة، حتّى أنّ الاطاحـة برئيس حكومة أو تسميته في موقعه أضحتا اليـوم رهينتي مـوقف الحركة من تلك الاطاحـة أو التسمية. والأرجـح في ضـوء المعطيات القائمة حاليا أنّ «النهضة» ستخرج من الانتخابات البرلمانية المقبلة القوّة الأولى، على خلاف الخارطة التي انبثقت من انتخـابات 2014، بحكـم كونها التشكيلة الأكثر استعـدادا، ورُبّمـا الوحيـدة المستعدّة لوجسـتيا وسيـاسيا لخـوض الانتخـابات المقبلة. أكثر من ذلك بوّأت الأزمة السياسية الراهنة الحركة موقعا محوريا جعل منها السند الأوّل لرئيس الحكومة.

لكن في الانتخابات ستكون هناك منافسة، ومن الفرضيات الواردة أن يفوز حزب الشاهد، أو النداء الجديد بالمرتبة الأولى أو الثانية، مما يُؤهّله لرئاسة الحكومة مُجددا، لا سيما إذا نجح في تحسين الوضع الاقتصادي، على الرغم من محاولات الإرباك الصادرة من قيادة اتحـاد الشغـل، المُتحالفـة مع غريمه المدير التنفيذي لـ«النداء».

واضح من تصريحات مختلفة أنّ «النهضة» تؤيّد بقاء الشاهد على رأس الحكومة إلى الانتخابات الرئاسية والتشريعية المقبلة، شريطة أن يتعهّد بالامتناع عن خوض السباق الرئاسي، وهو تعهّدٌ يتردّدُ أنّه أعطاه لرئيس «النهضة» في إطار المُفاهمة الجديدة. ومن هنا يمكن اختزال نقاط الاتفاق بين الطرفين الشاهد و«النهضة» على النحو التالي:

- التزام رئيس الحكومة بالامتناع عن الترشّح لرئاسيات 2019
- التزام أعضاء الحكومة بعدم الترشّح لانتخابات 2019 بشقّيها البرلماني والرئاسي
- تركيز الوزراء على العمل الحكومي والنّأي بأنفسهم ووزاراتهم عن الانخراط في الصراعات الحزبية

وإذا كان هناك اليوم حزب واحد يحتكر الرئاسات الثلاث في قرطاج وباردو والقصبة، فالأرجح أن الدولة لن تُساس من قبل تشكيلة واحدة بمفردها بعد 2018. وفي النتيجة ربّما يختبرُ التونسيون تجربة تعايُش، بين حزبين أو أكثر، أسوة بما عرفته ديمقراطيات كثيرة في العالم.

ر.خ.

ماذا يخفي السّخاءِ الصّيني إزاءِ القارّة الأفريقية؟

ما الذي تسعى الصين إلى تحقيقه لنفسها من منافع سياسية واقتصادية من خلال إغداقها السخيّ مجدّدا بما لا يقلّ عن 60 مليار دولار على القارة الأفريقية خلال السنوات الثلاث المقبلة؟ المنطلق هو مبدأ «الالتزام بمسؤولياتها في تقديم مساهمات جديدة وأكبر للبشرية» مع التركيز على القارّة السمراء «لتحقيق الحلم المشترك في بناء نموذج جديد يحتذى به للبشرية جمعاء!» ذلك ما أكده الرئيس شي جين بينغ لدى افتتاحه قمّة بيكين لمنتدى التعاون الصيني الأفريقي يوم 3 سبتمبر الجاري، فيما تتعالى عديد المواقف الغربية محذرة من انبلاج «هيمنة جديدة» تضع يدها على ثروات أفريقيا الطبيعية من طاقة ومناجم بالخصوص وتحتكر أسواقها لتكون لمنتجاتها وخدماتها قدم راسخة فيها وتثقل طاقة الدول بديون مكبّلة ترهن سيادتها الاقتصادية وهو ما يدحضه بقوّة عديد القادة الأفارقة.←

• بيكين – من موفد ليدرز الخاصّ، توفيق الحبيّب

أثبتت الصين قدرتها على استقطاب البلدان الأفريقية واكتساح أسواقها وبعثت برسالة واضحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي وضّفت على منتوجات هذا البلد رسوما عالية وتتأهب لمزيد تشديد هذه الرسوم بما لا يقل عن 200 مليار دولار. كما فتحت الصين بوّابتها القمرقية للبضائع المكسيكية والفيتنامية وأرادت أيضا أن تؤكّد لأوروبا ريادتها الاقتصادية خاصّة بعدما تواصل اقتناء كبرى شركات الطاقة من كهرباء وغاز في البرتغال واليونان وكذلك مشغّلي الاتّصالات وغيرها.

وفي الوقت نفسه، تقضّ بيكين مضجع اليابان وباقي النمور الآسيوية الناشئة بما تقطعه على هذه البلدان من طريق لتسويق منتجاتها وخاصّة منها التكنولوجية في أفريقيا. كلّ ذلك يتناسق مع مشروعها الضخم لإعادة طريق الحرير من خلال مبادرة الحزام والطريق. في أكبر تجمّع لقادة الدول الأفريقية على أعلى مستوى خارج القارّة، احتضنت العاصمة الصينية يومي 3 و4 سبتمبر قمّة رؤساء دول وحكومات كافة بلدان القارة تقريبا (53 دولة على 54 باستثناء مملكة سوازيلاند) في إطار الدورة السابعة لمنتدى التعاون الصيني الأفريقي الذي تمّ إنشاؤه منذ 17 سنة. وقد أضحى هذا المنتدى اليوم الإطار الإستراتيجي الجديد ليغيّر خارطة العلاقات الدولية ويكرّس دور الصين باعتبارها قوّة سياسية واقتصادية وتكنولوجية كبرى، تمثّل البديل للقوى الغربية بكافة مكوّناتها.

ولم يخف الرئيس الصيني حرص بلاده على «توجيه ميزان القوّى الدولية نحو أكثر توازن، في مواجهة تحديات غير مسبوقة بفرض الهيمنة وسياسة القوة وتنامي الحمائية والأحادية القطبية وكذلك تعاقب الحروب والهجمات الإرهابية والمجاعات والأوبئة وتشابك القضايا المعقّدة للأمن التقليدي وغير التقليدي».

اللاءات الخمسة

ومن هنا جاء «حرص الصين حسب قوله، باعتبارها أكبر دولة نامية في العالم على بناء مصير مشترك أوثق مع القارة الأفريقية» التي تجمع أكبر عدد من الدول الأفريقية». وطمأنة لشركائه الأفارقة، جدّد الرئيس شي جين بينغ التأكيد على مبدا «اللاءت الخمسة» الذي تعتمده بلاده وهي:

1. عدم التدخّل في الشؤون الداخلية
2. عدم التدخّل في الاختيارات التنموية
3. عدم فرض أي إرادة على الآخرين
4. عدم الربط بين المساعدات وشروط سياسية
5. عدم السعي إلى كسب مصلحة سياسية من خلال الاستثمار والتمويل.←

وإذ أكّدت الصين حرصها على «الاضطلاع بدور نشيط في الحوكمة الدولية»، فقد دعت إلى «دعم زيادة تمثيل الدول النامية الفقيرة في إدارة الشؤون الدولية وإعلاء صوتها وتعزيز قوّة دول الجنوب لتسهم في الحوكمة العالمية بما يضمن مصالح أغلب الدول وخاصة النامية منها بشكل أكثر توازنا».

ثمانية أوجه إنفاق وإنماء، بضوابط محدّدة

هذا الإطار السياسي الاستراتيجي الواضح، تسنده الصين بمساعدات مالية جزيلة لفائدة أفريقيا (60 مليار دولار) عن طريق المساعدات الحكومية والاستثمار والتمويل من المؤسّسات المالية والشركات.
وتتوزّع هذه الاعتمادات السخيّة كما يلي:

- 15 مليار دولار من المساعدات دون مقابل وقروض دون فوائد وقروض بشروط ميسّرة
- 20 مليار دولار من صناديق الائتمان
- 10 مليارات دولار للتمويل التنموي الصيني

أيّ استفادة لتونس؟

كيف يمكن لتونس أن تنخرط في هذا المشروع الصيني الضخم والاستفادة منه؟ يحفظ الشعب الصيني وخاصّة قيادته في الذاكرة الزيارة التاريخية التي أدّاها الوزير الأوّل الصيني شوان لاي لتونس يومي 9 و10 جانفي 1964 ومحادثته مع الرئيس الحبيب بورقيبة (وقد نشرت ليدرز في نسختها الفرنسية نصّها الكامل) التي أفضت إلى إقامة علاقات ديبلوماسية بين البلدين والشروع في تعاون وثيق. ولئن لم يتمكّن الرئيس الباجي قايد السبسي من تلبية دعوة نظيره الرئيس شي جين بينغ لحضور قمّة بيكين فقد أناب عنه رئيس الحكومة يوسف الشاهد على رأس وفد رفيع المستوى. كما حرص على استقبال سفير الصين بتونس، قبيل انطلاق القمّة ليؤكّد له حرص بلادنا على تعزيز هذه العلاقات والارتقاء بها إلى منزلة أعلى وبنسق أسرع ومحتوى أعمق. وألحّ بالخصوص على الدور الذي تعهّدت به تونس لنفسها في توسيع أفق هذا التعاون الثنائي ليشمل الفضاءات الأفريقية والمتوسّطية بحكم علاقاتها وموقعها وما تتوفّر عليه من مقدّرات. كان هذا هو الخطاب الذي حمله رئيس الحكومة يوسف الشاهد إلى الرئيس الصيني شي جين بينغ، مستعرضا سعي تونس إلى إقرار إصلاحات عميقة ومقاومة الفساد، وتحرير الاقتصاد وتيسر الاستثمار والرفع من الكفاءات المهنية والعلمية والاستثمار في التكنولوجيا وهي عناوين هامّة للقيادة الصينية.

ولعلّ السؤال الحقيقي اليوم: هو كيف نترجم كلّ هذه النوايا الحسنة من الطرفين على أرض الواقع سواء بين تونس والصين وبين تونس والدول الأفريقية بدعم من الصين أو أيضا بين تونس والدول الأفريقية في السوق الصينية وحتّى في فضاءات اقتصادية مجاورة وخاصّة منها باقي دول آسيا وغيرها.

خطّة يوسف الشّاهد

أكّد رئيس الحكومة يوسف الشاهد لمجلّة ليدرز أنّ القطاع الخاصّ مدعوّ إلى استكشاف كلّ الفرص المتاحة في أفريقيا وفي الصين واستنباط المشاريع المثمرة وقال إنّ حكومته عاقدة العزم على تقديم كل الدعم الضروري وإسناد الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة ومجلس الأعمال التونسي الصيني وغرفة التجارة التونسية الصينية وغيرها من الهياكل للإسراع في الاستفادة من هذه الفرص الجدية الواعدة.

وأوضح الشاهد أنّ كلّ الجهات الحكومية من وزارات وهياكل مختصّة ستنكبّ في أجل قريب جدّا على دراسة المبادرات الصينية الجديدة وسبر مجالاتها التنفيذية وصياغة مقترحات عملية للانخراط فيها، مثمّنا الدور النشيط الذي تضطلع به الديبلوماسية التونسية في هذا المجال من خلال وزارة الشؤون الخارجية والسفارات في الخارج والتعاون الوثيق القائم بينها وبين كافة الوزارات والهيئات المعنية الأخرى. وتأكيدا لحرصه على متابعة التنفيذ شخصيا، أعلن يوسف الشاهد عن تكوين وحدة خاصّة ضمن ديوان رئيس الحكومة تعنى بالملف وتعيين مكلّف بمهمّة على رأسها، للتنسيق وتذليل الصعاب واستحثاث التنفيذ. وبيّن يوسف الشاهد أن العلاقات التونسية الصينية التي ازدادت متانة وجودة عل أعلى مستوى تمنح لكلا البلدين فرصة ثمينة ينبغي إحكام توظيفها وقال إنّ السعي لفتح خط مباشر بين تونس وبيكين يتعزّز بنقل المسافرين العابرين من العواصم الأفريقية التي تصل إليها الخطوط التونسية وبالعائدين اليها، من شأنه أن يفعّل أكثر هذا التعاون ويدفع المبادلات بأحجام مهمّة جدّا.
وأضاف رئيس الحكومة أنّ موقع تونس وخاصّة جوارها مع الشقيقة ليبيا المقبلة على عملية إعادة إعمار هامة، وهي في شمال القارة الأفريقية وقلب المتوسّط، مباشرة قرب أوروبا، وتوفّرها على بنية تحتية جيّدة وقوى عاملة كفأة، يمنحها مزايا خاصة تنضاف إلى المزايا القمرقية والجبائية بفضل انضمامها إلى منطقة كوميسا واتفاقية أغادير وغيرها، بما يفتح لها أسواقا تفوق 800 مليون مستهلك.

• 5 مليار دولار لتمويل استيراد منتجات افريقية للسوق الصينية.
وبالإضافة إلى ذلك، يتمّ حثّ المؤسسات الصينية على استثمار ما لا يقل عن 10 مليار دولار خلال نفس الفترة في الدول الأفريقية، فيما يتمّ إعفاء الدول الأفريقية الأقل نموّا والدول الفقيرة المثقلة بالديون والبلدان غير الساحلية والواقعة بالجزر، من تسديد القروض لغاية نهاية عام 2018.
كلّ هذا الكرم الصيني الذي أسال لعاب قادة الدول الأفريقية لا يأتي مجانا هكذا، دون ضوابط أو تبويب، أودون تحديد طرق الاستغلال ومواطنه وكيفية تحقيق النجاعة المرجوة. وقد اختارت الصين 8 مجالات كبرى لتمويلاتها وهي :

1. التنمية الصناعية
2. ترابط المنشآت
3. تسهيل التجارة
4. التنمية الخضراء والمستدامة
5. بناء القدرات
6. الصحّة
7. التواصل الشعبي
8. السلم والأمن

وتتوفّر المبادرة على جملة من المنح الدراسية (50.000 في كلّ واحد من عديد المجالات) وإيفاد الخبراء وإنشاء مراكز مختصّة وهياكل تواصل وتنفيذ مشاريع إنمائية واجتماعية وصحية وبناء مستشفيات وتوفير أطباء وإطلاق مشاريع بيئية واستحثاث نقل التكنولوجيا وغيرها..

ت.ح.

الاحتكار في تونس

شبكاته تضرب الاقتصاد.. تسحق المستهلك.. وتتحدّى الدولة

من الممارسات التجارية غير القانونية التي تشهدها تونس منذ عدّة سنوات والتي تنامت بشهادة الخبراء بصورة ملحوظة بعد 14 جانفي 2011 ، بسبب ضعف الدولة وأجهزتها الرقابية ، التهريب والمضاربات والتجارة الموازية وغيرها. لكن يبقى الاحتكار الذي تمارسه شبكات مافيوزية أحكمت سيطرتها على مسالك توزيع العديد من المواد من أخطر الظواهر التي تضر بمصالح الاقتصاد الوطني وتهدّد مباشرة الطاقة الشرائية للمواطن ، في خرق صارخ للقانون المنظم للمنافسة وللأسعار.

في هذا الملفّ نسلّط الضوء في البداية على أهداف هذا القانون الذي شهد عدّة تعديلات منذ 1991 ونعرّف بالاحتكار ونبيّن أنواعه وأشكاله ، مع استعراض القطاعات الكبرى التي يمسّها . كما نكشف عن مواقع الاحتكار وطرق تنظم شبكاته وأسلوب تحرّكها بدءا بتكوين أسعار المواد إلى ترويجها ونتناول آثاره المدمّرة على الاقتصاد الوطني وعلى المستهلك ونوضح مدى نجاعة مصالح المراقبة الاقتصادية في التصدّى للاحتكار والممارسات الاحتكارية. ونتطرّق في هذا الإطار إلى الدور الذي يضطلع به مجلس المنافسة المختصّ بالنظر في المخالفات المتّصلة بالممارسات المخلّة بالمنافسة مع عرض قضيّتين أقرّ فيهما بوجود احتكار. ←

• إعداد: خالد الشّابي

يشير السيد خليفة التونكتي وهو خبير اقتصادي له تجربة إداريّة وميدانية واسعة في مجال التجارة الداخلية وسياسة الأسعار إلى أنّ تونس تعتمد الاقتصاد الحرّ لكنّ هذه الحريّة مؤطّرة من طرف الدولة، ذلك أنّه في ثمانينات القرن الماضي وبعد أزمة البترول حدثت الأزمة الاقتصادية العالمية الكبرى وكان الحلّ الذي ارتآه الخبراء آنذاك هو مزيد تحرير الاقتصاد والحدّ من تدخّل الدولة في أغلب دول العالم والتّوجه نحو نظام العولمة ، لكنّهم اكتشفوا فيما بعد أنّ هذا التمشّي يؤدّي في المطلق إلى زيادة في الاحتكار في الأسواق من طرف الشركات الكبرى ومتعددة الجنسيات . وللحدّ من هذه الظاهرة برز تمشّ عالمي يدعو إلى تنظيم الاقتصاد من خلال وضع تشاريع تضمن المنافسة في السوق وذلك بالتوازي مع بعث المنظمة العالمية للتجارة سنة 1995 بهدف وضع قواعد التجارة العالمية بين الدول ومراقبة احترامها .

تنظيم المنافسة والأسعار

بادرت الحكومة التونسية، قبل ذلك التاريخ ، بإصدار القانون عدد 64 لسنة 1991 المتعلّق بالمنافسة والأسعار وقد جاء لينظّم المعاملات الشفافة في السوق ومنع الاحتكار. ويندرج القانون في إطار الإصلاحات الهيكلية للاقتصاد التونسي التي تمّ إقرارها ومن أهمّها مراجعة التشريعات في اتّجاه مزيد تحرير الاقتصاد بوضع قانون المنافسة والخوصصة للتخفيض من احتكارات الدولة وحذف التراخيص وتحرير التجارة الخارجية.

وأُحدث بمقتضى القانون المشار إليه مجلس المنافسة، معوّضا لجنة المنافسة ←

←وهو هيئة إدارية خاصّة لهـا استقـلالية وشخصيّة اعتبارية، تنظر في الدّعاوى المتعلّقة بالممارسات المخلّة بالمنافسة وتبدي رأيها في المطالب الاستشارية.

وشهد قانون 1991 خمسة تنقيحات كان آخرها في سنة 2015 فصـدر القـانون عدد 36 لنفس السنـة المتعلّق بإعـادة تنظيم المنافسة والأسعار.

ويلاحظ الخبير السيـد خليفة التونكتي أنّ أهداف هذا القانون تتمثّل في تحقيق المنافسة في السـوق للتحكّم في الأسعار وتطوير الإنتاج والجودة وحماية المستهلك وتوفير الخدمات وتحسينها. وقد جاء لحماية حرية دخول السوق والمنافسة الفعلية. لكن رغم ذلك تبقى الدولة تتدخّل في بعض القطاعات للتعديل وهذا في كل اقتصاديات العالم إمّا بالتشريعات أو بالتدخّل المباشر في بعض المجـالات مثل الماء والكهرباء والأدوية .. لكن التوجّه العالمي اليوم يسير نحو التقليص من تدخّل الدولة في الاقتصاد أقصى ما يمكن ويكون الحدّ منه بفتح بعض القطاعات للخواص مثلما فعلت تونس في النقل البّري والاتّصالات وصناعة الإسمنت وفي المستشفيات وغيرها... لكن يبقى الدور التعديلي للدولة قائما مع المحافظة على بعض المؤسّسات كالبنوك مثلا . ويهدف التحرير إلى مزيد الفاعلية والتجديد في الاقتصاد بما أنّ إمكانيات الدولة محدودة مقارنة بالقطاع الخاص ولا تستطيع التطوير بالقدر الكافي وقد يكون ذلك لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية بينما الخواص قادرون على جلب تكنولوجيات حديثة وتحسين الإنتاجية والجودة وأحسن مثال على ذلك اتصالات تونس إذ أدّى التحرير إلى مزيد الفاعلية والجودة والتطوّر. كما يضع التحرير التاجر تحت الضغط دائما بسبب المنافسة القائمة وحرية السوق والبحث عن تحسين جودة المنتوج نظرا إلى أنّ السوق غير مطمئنة للتاجر وغير مؤكدة النتائج.

ما الاحتكار ؟

يعرّف السيد حسام التويتي مدير الأبحاث الاقتصادية بوزارة التجارة الاحتكار على أنّه: «التحكّم في عرض المنتوج قصد التأثير على تكوين الأسعار وفق قاعدة العرض والطلب للترفيع في مستوياتها بصفة اصطناعية تصل إلى مستويات مشطّة لتحقيق أرباح إضافية بطرق ملتوية وغير مشروعة» ويبرز الاحتكار، حسب السيد حسام التويتي، خاصّة خلال فترات اضطراب في التزويد والتوزيع نتيجة عوامل هيكلية مثل الخلل في الإنتاج الفلاحي المرتبط بالعوامل المناخية ممّا يقلّص المساحات المزروعة. ويغيب الاحتكار عندما تكون هناك وفرة في الإنتاج. وأضاف أنّ الاحتكار طفا على السّطح خاصّة بعد 14 جانفي 2011 وتنامى بسبب تراجع سلطة الدولة حيث بلغت أسعار بعض المنتوجات مستويات قياسية.

أنواع الاحتكار والممارسات المخلّة بالمنافسة

يوضّح الخبير السيد خليفة التونكتي أنّ الاحتكار نوعان . النّوع الأوّل هو احتكار الدولة وعادة يكون الاحتكار الطبيعي ناتجا عن وضعية تاريخية مثل احتكار الكهرباء والماء والنقل الحديدي أو احتكار للمصلحة العامة كخيار استراتيجي في قطاعات حسّاسة كالدواء والفسفاط والتبغ والسكر والقهوة والشاي والحبوب. وفي هذا النّوع تلعب الدولة دورها التعديلي وعادة لا تتدخّل فيه سلطة المنافسة لأنّه من المفروض أنّ الدولة لا تقوم بتجاوزات كما أنّ سلطة المنافسة ليس لها صـلاحيّة محـاسبة الدولة في اختياراتها. إلا أنّ المؤسّسات العمومية تخضـع في ممـارساتهـا المخلّة إلى المراقبة.

أمّا النوع الثاني فيتعلّق باحتكار الخواص الذي يؤدّي إلى تجاوزات وتراقبه سلطة المنافسة وهي وزارة التجارة ومجلس المنافسة ، للتأكّد من وجود احتكار من عدمه أو استعمال مفرط له أو من استعمال الممارسات المخلّة بالمنافسة في كلّ أشكالها كأشكال التواطؤ المختلفة مثل الاتّفاق على سعر البيع أو الشراء أو على مواد أولية أو على إغراق السوق بسلعة معيّنة أو الامتناع عن توفير مواد أوّلية أو الامتناع عن تزويد السوق أو الاتفاق في صفقات عمومية والهدف من ذلك بالنسبة إلى المحتكر هو الهيمنة أو منع المنافسة في السوق أو استعمال النّفوذ في القطاع أو منع طرف ثالث من الدخول إلى السوق.

ويؤكّد محدثنا أنّ الاحتكار ليـس ممنـوعا عمـوما لكن استغـلال الاحتكـار Abus de monopole ممنوع. ويمنع القانون إنتاج وضعية احتكار بالاستيعاب أو الإندماج أو الاستحواذ (التركيز الاقتصادي الداخلي أو الخارجي) لأنّ الحرية في السوق لا يجب أن تؤدي إلى الهيمنة ولهذا السّبب تراقب سلطة المنافسة ذلك وتمنعه إذا كان سيؤدّي إلى الاحتكار كشراء مؤسّسة أو اندماج مؤسّستين أو أكثر ممّا ينتج عنه وضعية هيمنة وسيطرة على السوق بنفس الإنتاج أو بإنتاجين متكاملين. وفي هذه الحالة لا بدّ من استشارة سلطة المنافسة قبل الشراء أو الدّمج لتسمح بذلك أو تمنعه. كما يمنع التشريع استعمال قوة السـوق واستغـلالها وتوظيفهـا Abus de position dominante.

وينبّه الخبير إلى ضرورة التفريق بين الاحتكار من ناحية وبين المضاربات والإغراق (dumping) من ناحية ثانية لأنّ المضاربات هي اتفاقات ومفاهمات للبيع مثلا بسعر واحد لمنتوج معين وهي ممارسة ممنوعة. أمّا الإغراق فيتمثّل في عرض منتوج في السوق بكمية كبيرة وبسعر بخس ممّا يمنع المنتوجات المماثلة من دخول السوق ويمكن أن تقع تلك الممارسة بمنتوج مستورد من الخارج وفي هذه الحالة تتمّ حماية السوق عادة بالرفع في المعاليم الديوانية أو بإجراءات أخرى.

ما هي القطاعات التي يمسّها الاحتكار؟

وفق مدير الأبحاث الاقتصادية بوزارة التجارة يمسّ الاحتكار خاصّة ثلاثة قطاعات هي: أوّلا المنتوجات الفلاحية والبحرية وتتمّ عملية المراقبة على الطرقات وعلى مخازن التبريد القانونية والعشوائية لمتابعة نشاط الدخلاء الذين يجمعون المنتوج ويخزّنونه. وأشار السيد حسام التويتي إلى أنّ المراقبة تنطلق من معلومات عندما يلاحظ ارتفاع في أسعار مادة معينة على مستوى الجملة أو التفصيل ارتفاعا كبيرا فتقوم المصالح المختصة بأبحاث استقصائية وتتحرّى في مصدر البضاعة لتستهدف هؤلاء الأشخاص، علما أنّ عديد الفلاحين يرفضون نقل بضاعتهم إلى سوق الجملة بسبب تكاليف النقل ولأسباب أخرى خاصّة بهم ، ويفضّلون بيعها إمّا على رأس أشجارها أو ناضجة للوسطاء ومجمّعي الإنتاج في موقعه ، ممّا يفتح الباب أمام هؤلاء لبيع المنتوجات في الأسواق الموازية - بأسعار يحدّدونها- أو تجميعها واحتكارها.

أمّا القطاع الثاني الذي ظهر فيه الاحتكار حسب مدير الأبحاث الاقتصادية بوزارة التجارة فهو التبغ وخاصّة منذ سنة 2014 حيث حدثت أزمات جعلت الأسعار تصل إلى مستويات مشطّة . وقد برزت في هذه المادة شبكات احتكار وأصبح هناك تهافت على كراء رخص تجارة التبغ في محلاّت الفواكه الجافّة وبيعه بأسعار مرتفعة غير قانونية. وللتصدي لهذه الممارسات أصبحت مصالح المراقبة تقوم بحملات على مستوى محيط مراكز توزيع هذه المنتوجات والنقل على الطرقات وعلى مسالك التوزيع لمقاومة الاحتكار فيها. ويتعلّق القطاع الثالث بتوزيع الموادّ المدعّمة وخاصّة منها الزيت النباتي والسكّر والحليب. ونظرا إلى أنه يمنع استعمالها صناعيا ومهنيا برزت شبكات احتكار تحوّل وجهة المواد المدعّمة من الاستهلاك الأسري إلى الاستعمالات المهنية غير المشروعة في الصناعة والخدمات خاصّة. وتقوم مصالح المراقبة بمجهود رقابي بصفة يومية في كل قطاعات المواد المدعّمة للتصدّي للاحتكار بتنظيم العمليات النوعية والتفاعل مع المستجدّات بالحجز وتسجيل المخالفات.

الاحتكار : مواقعه وشبكاته وطرقه

أفضى العمل الاستقصائي الذي قمنا به إلى جملة من الاستنتاجات من أبرزها أنّ الممارسات الاحتكارية تشمل بصورة دورية الأسماك ومنتوجات البحر التي ارتفعت أسعارها في الأشهر الأخيرة والخضر والغلال ومن بينها الموز والتمور وكذلك الأعلاف الحيوانية. أمّا الموادّ التي تُحتكر بصورة ظرفيّة نتيجة نقص في الإنتاج أو ارتفاع←

مناخ المنافسة في تونس

يتميّز مناخ المنافسة في تونس بجملة من الخصائص تتلخّص في ما يلي:
- الأوضاع الاحتكارية في عدد كبير من القطاعات والاستغلال المفرط لوضعية الهيمنة.
- وجود قطاع عمومي احتكاري يتمتّع بحماية مفرطة أو مطلقة بتعلّة المصلحة العامة، ممّا يؤدّي إلى تدهور جودة الخدمات وتدنّي الفاعلية الاقتصادية.
- منح امتيازات بتعلّة المصلحة أو الخدمات العامّة عادة ما تعيق التطوّر الاقتصادي ونجاعة توظيف الموارد.
- تأخّر إصلاح القطاع العمومي وتفكيك الاحتكارات، ممّا يعيق النموّ والابتكار.
- التشريع الاقتصادي وغيره عادة ما يحتوي على أحكام تعرقل المنافسة وسهولة دخول السّوق. وتخضع صياغة هذه النّصوص إلى معطيات تاريخية واجتماعية وظرفية يصعب تجاوزها بسهولة.
- آليات تطبيق القانون لا تزال في بدايتها وتختلف من حيث الأسلوب والإمكانيات عمّا هي عليه في الدّول المتقدّمة.
- الممارسات الاحتكارية والمخلّة بالمنافسة متعدّدة الأشكال والأساليب ويصعب التفطّن اليها من طرف المؤسّسات المعنية بالمراقبة نظرا إلى نقص الخبرات والإمكانيات.
- وجود تدخّل حكومي في الاقتصاد مبرّر أو غير مبرّر عادة ما يستند إليه القطاع الخاصّ لعدم الكفاءة أو للحماية من المنافسة الحقيقية ممّا يعيق المبادرة والتّجديد.
- عدم توفّر مناخ ملائم للمنافسة الحقيقة نظرا إلى تعدّد العراقيل وتشعّب الإجراءات الإدارية ممّا يعرقل دخول السّوق والخروج منه.
- وتمنع هذه العوامل وغيرها توفّر المنافسة الحقيقية وهو السبب الرئيسي لتدنّي التنافسية وتدهور جودة المنتجات وتراجع الاستثمار وارتفاع نسبة التضخّم في تونس.

في الطلب ونقص في العرض ، فهي تتمثّل في الحليب والغاز المنزلي والحديد والكرّاس المدعّم وقد رفعت مصالح المراقبة 24 مخالفة في احتكار هذه المادّة الأخيرة في تونس الكبرى آخر شهـــر أوت الماضي. وتبيّن أنّ الممارسات الاحتكارية تزداد في محيط مناطق الإنتاج وفي المناطق التي توجد بها مخازن تبريد وكذلك في المناطق التي تتّسم بكثرة الاستهلاك وتنتشر فيها مخازن عشوائية.

وللاحتكار شبكات منظّمة تتكوّن من منتجين ووسطاء ومخزّنين ومروّجين يتمّ الاتفاق بينهم لاعتماد هذا الأسلوب لتحقيق أوفر الأرباح. وهي شبكات قطاعية في الغالب لذلك تختلف الشبكات والأطراف المتدخّلة باختلاف المنتوجات . فالمنتوجات الفلاحية لها مسالك معيّنة والصناعية لها مسالك أخرى ...الخ.

ويبرز الاحتكار ويتفاقم خلال المواسم الاستهلاكية الكبرى في شهر رمضان مثلا أو في فترات زمنية مختلفة خلال السنة حسب الطّلب.

كيف يتمّ ترويج الموادّ ؟

يعرض المحتكر كميّات محدودة من المنتوج موضوع الاحتكار في سوق الجملة لتكوين السعر وبما أنّ العرض فيها قليل يكون السعر مرتفعا . ثم يقوم بعد ذلك بترويج بقيّة الكميّات خارج المسالك القانونية بأسعار أقلّ من سوق الجملة ويوزّعهـا بأسعار لا تخضع إلى العرض والطلب.

آثار الاحتكار على الاقتصاد الوطني وعلى المستهلك

يرى الخبير السيد خليفة التونكتي أنّ للاحتكار ثلاثة تأثيرات سلبية على الاقتصاد الوطني : أوّلها تعطيل النموّ الاقتصادي لأنّ المنافسة في الاقتصاديات النامية ضعيفة لعدم توفّر حرية اقتصادية كافية إذ هناك عوائق كبيرة أمام دخـــول الســـوق وبالتّالي لا تتحقّق الأهداف من المنافسة بخفض الأسعار وجودة الإنتاج وهذا يؤدّي إلى تعطيل النموّ الاقتصادي . وثانيها الزيادة في التضخّم وهذا له تأثير سلبي على التشغيل والإنتاج والتصدير والقدرة التنافسية للبلاد. أمّا ثالثها فيتعلّق بتراجع الاستثمارات الخارجية بسبب الصعوبات القائمة في مجالي المنافسة ومقاومة التضخّم ...وتذكر أرقام البنك المركزي أنّ ارتفاع الأسعار هو من الأسباب المباشرة التي ساهمت في زيادة نسبة التضخّم في تونس والتي فاقت 7 ٪ خلال السنة الحالية وتصل حسب الخبراء إلى 10 ٪، وكان المعهد الوطني للإحصاء أكّد على سبيل المثال ارتفاع أسعار المواد الغذائية بنسبة 8.7 ٪ سنة 2017. كما يؤثر الاحتكار حسب مدير الأبحاث الاقتصادية بوزارة التجارة على المقدرة الشرائية للمستهلك ومسّ ذلك منظومة الاستهلاك عموما، كما يثقل ميزانية الدولة بالنسبة إلى الاعتمادات المخصصة للمواد المدعّمة ويحرم الدولة من مداخيل إضافية بسبب التهرّب الجبائي ، علاوة على الكلفة الإضافية للمراقبة والوسائل المستعملة .كما يضرّ الاحتكار بالقطاعات المشتركة معه في حلقة الإنتاج ويؤثّر سلبا على ديمومة القطاعات. ويبقى الضامن الوحيد لتأمين المنافسة والحدّ من الإشكـالات والصعـوبات هـــي سلطة المنافسة.

ويشير السيد طارق بن جازية المدير العام للمعهد الوطني للاستهلاك من ناحيته إلى أنّ الممارسات الاحتكارية تؤدّي إلى تدهور القدرة الشرائية للتونسيين وتردّي جودة الخدمات.

لكن هل توجد علاقة بين الاحتكار والاقتصاد الموازي ؟

عن هذا السؤال يجيب السيد خليفة التونكتي بالقول : «عند وجود اقتصاد مواز فلا معنى للمنافسة لأنّ هذا الاقتصاد لا يخضع إلى قوانين تزويد السوق وضمان حقوق المستهلك وهذا يعني أنّه لا يوجد اقتصاد منظّم يقوم على قواعد لأنّ المنافسة الحقيقيـــة لا تقـــع إلا إذا كان الاقتصاد خاضعا إلى قوانين

الممارسات المخلّة بالمنافسة التي يعاقب عليها القانون

يعاقب الفصل 5 من القانون عدد 36 لسنة 2015 على الممارسات التالية:

1.الاتّفاقيات والتّحالفات الصّريحة أو الضّمنية التي يكون مضمونها أو تأثيرها مضرّا بالمنافسة ، مثل:
- عرقلة تحديد الأسعار حسب السّير الطبيعي لقاعدة العرض والطلب
- الحدّ من دخول مؤسّسات أخرى للسّوق أو الحدّ من المنافسة الحرّة فيها،
- تحديد أو مراقبة الإنتاج أو التّسويق أوالاستثمار أو التقدم التقني،
- تقاسم الأسواق أو مراكز التّموين.

2.استغلال الاحتكار أو وضعية الهيمنة بصفة مفرطة.
3.استغلال وضعية التبعيّة الاقتصادية.
4.تطبيق أسعار مفرطة الانخفاض لإزاحة المنافسين والإضرار بسير السوق.
يمكن استثناء البعض من هذه الممارسات بترخيص من الوزير المكلف بالتجارة إذا تبيّن أنّ لها فوائد بالنّسبة إلى المستهلك تفوق الإضرار بالمنافسة.

وترتيبات. ومن جهة أخرى يشجّع الاقتصاد الموازي التجّار على الخروج من السوق المنظّم وتطبيق الاحتكار».

الاحتكار وضعف الرّقابة

يرجع الخبير الاقتصادي السيد خليفة التونكتي تفاقم الاحتكار إلى ضعف إمكانيات الدولة البشرية الرّقابية من حيث العدد والكفاءات لأنّ عملية المراقبة هي عملية تقنية دقيقة تحتاج إلى إمكانيات بشرية ومادية هامة . ومن جهته يؤكّد مدير الأبحاث الاقتصادية بوزارة التجارة أنّ مصالح المراقبة بالوزارة جعلت الممارسات الاحتكارية من أولويات عملها في حدود الإمكانيات البشرية والمادية المتوفّرة. ويفيد أنّ مصالح المراقبة قامت بتطوير طرق التدخّل وتطبيق رؤية جديدة للرقابة تواكب الممارسات الاحتكارية في السوق ، مشيرا إلى أنّه انطلاقا خاصّة من سنة 2012 أصبحت المراقبة نوعية وشاملة من خلال اعتماد المراقبة المشتركة بتجنيد إمكانيات غير متوفّرة لدى مصالح وزارة التجارة مثل التّعزيز الأمني أو الإسناد من هياكل أخرى كوزارة المالية .. ويبيّن السيد حسام التويتي أنّ المراقبة تتصـدّى إلى ما ينتج عن الاحتكار من غلاء في الأسعار أو نقص في البضاعة أو ممارسة البيع المشروط وأنّ أغلب نشاطها مركّز على مسالك التوزيع بالتفصيل. ويؤكّد أنّ الرقابة أصبحت تتدخّل على مستوى المخازن ووسائل النقل عبر الطرقات بدوريات مشتركة يقع تركيزها في نقاط العبور وبعض النقاط المرورية المعروفة بالكثافة لاستهداف نشاط هؤلاء المحتكرين والتدخّل قبل وقوع المشكل ومعالجته. وهذه العمليات هي التي تفضي، حسب السيد حسام التويتي، إلى عدة عمليات حجز تقوم بها مصالح المراقبة.

وبخصوص مدى توصّل الرقابة إلى كشف شبكات الاحتكار، يشير إلى أنّه يصعب التعرّف إلى بارونـاتها لأنّ الشّخص الذي تكتشف مصالح المراقبة تورّطه في ممارسة احتكارية يتحمّل وحده تبعات القضية رغم أنّه يمثّل حلقة من حلقات الشبكة ولا يكشف عن بقيّة أفراد الشبكة لحمايتهم وهكذا يستطيع أن يعود إلى العمل معهم بعد قضاء عقوبته، مضيفا أنّ قليلة هي الحالات التي تمّ فيها كشف الشبكة كاملة، وبالتالي تواصل تلك الأيادي الخفية نشاطها الاحتكاري بعد إفلاتها من الرّقابة.

ويرى السيد طارق بن جازية المدير العام للمعهد الوطني للاستهلاك أنّ مواطن الخلل في منظومة مقاومة الممارسات المخلّة بالمنافسة في عدم توفّر الموارد البشرية العاملة في قطاع المنافسة بالكفاءة المطلوبة ليقوموا بالبحوث الضرورية وفي عدم تقييم قانون إعادة تنظيم المنافسة والأسعار - الذي مضى على صدوره ثلاث سنوات - وإجراء الإصلاحات اللازمة فيه،علاوة على ضعف الاستعلامات الاقتصادية لمتابعة الممارسات الاحتكارية في السوق مثل انتشار المخازن العشوائية.ويقترح السيد طارق بن جازية إصدار مجلة للاستهلاك تجمع كل القوانين المتشابهة في هذا المجال.

متى الحرب على الاحتكار؟

من الواضح أنّ القوانين الرّادعة للاحتكار والتي تصدر بمقتضاها عقوبات مثل حجز البضائع والخطايا وسجن المخالفين وغلق المحلاّت لم تقض على ظاهرة الاحتكار التي لا يزال يعاني منها المستهلك. كما أنّ الحرب التي أطلقتها الحكومة على الاحتكار والمضاربة منذ نوفمبر 2017 والعقوبات التي أقرّها التشريع لم تكن كافية لحماية المستهلك من بارونات الاحتكار الذين يتعمّدون التخفيض في تموين السوق أو يرفّعون الأسعار ارتفاعا مشطّا.

سألنا تاجر خضر وغلال عن الحلّ فدعا إلى ضرورة تشديد العقوبات على المحتكرين حتّى يرتدع كثير منهم . وأكّد هذا التاجر أنّ من يرفع الأسعار هم الوسطاء في كل مكان وهم الذين يكسبون أرباحا تقدّر بأضعاف ما يكسبه الفلاح أو تاجر التفصيل، مضيفا أنّ لا أحد يحدّد الأسعار سوى الوسطاء.
وتساءل لماذا لا تتدخّل الدولة وتحدّد أسعار الخضر والغلال والأسماك يوميا عند الإنتاج وتفرض على أسواق الجملة سعرا

المخالفات الاحتكاريّة والسّعريّة في سنة 2018

القطاع	المخالفات
خضر وغلال	954
تغذية عامّة	1986
دواجن وبيض	115
أسماك	9
لحوم حمراء	7
مواد علفية	29
مخابز، مقاهي، مطاعم	509
مواد صناعية حساسة	17
مواد صناعية وخدمات مختلفة	1175
المجموع	**4801**

للبيع بالجملة ونسبة ربح محدّدة بما أنّ سوق الجملة هو أوّل حلقة في التسويق يخضع إليها المنتج الفلاح والمخزّن القانوني والوسيط هو الذي يتحكّم في أسعارها. وللهروب من سوق الجملة أحدثت أسواق موازية غير قانونية تباع فيها، حسب منظّمة الدّفاع عن المستهلك، حوالي 60 ٪ من منتوجات الخضر والغلال والأسماك.وعدم السيطرة على مسالك التوزيع العشوائية يفقد الدولة رسوما كانت ستكسبها من مسالك التوزيع القانونية.

ومن جهة أخرى فإنّ محاربة الاحتكار تمرّ حسب السيد طارق بن جازية عبر التصدي إلى انتشار مخازن التبريد العشوائية التي يمكن كشفها بسهولة لو تتعاون فرق المراقبة مع الشركة التونسية للكهرباء والغاز التي تصبح مطالبة بإعلام فرق المراقبة بكلّ من يتولّى تركيب عدّاد كهربائي خاصّ بتشغيل المخازن أو كلّ من يستهلك كهرباء بصورة كبيرة وليس له رخصة لنشاط صناعي.وعموما فإنّ محافظة الدولة على دورها التّعديلي وترك الأسعار حرّة تماما وخاضعة إلى قواعد العرض والطلب يسمح للمحتكرين والمضاربين بالتحكّم في الأسعار وفي النهاية يبقى الضحيّة دائما هو المستهلك والفلاح.

في الختام بقي لنا أن نتساءل: أيّ دور للمستهلك؟

من البديهي أنّ الدولة وحدها غير قادرة على مقاومة الممارسات الاحتكارية بالقوانين فحسب إذ أنّ هناك طرفا آخر يجب أن يكون فاعلا في هذا المجال وهو المستهلك. وهنا يأتي دور منظمة الدفاع عن المستهلك المطالبة اليوم بنشر الوعي الاستهلاكي بين المواطنين ليصبحوا قادرين على توحيد جهودهم ضدّ الممارسات الاحتكارية كلّما ظهرت في منتوج أو أكثر في السوق فيفرضون قرارهم بمقاطعة المنتوج الذي ترتفع أسعاره بسبب الاحتكار أو التشهير بالمحتكرين في الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي.. .

خ.ش.

مجلس المنافسة : 90 قرارا يدين ممارسات مخلّة بالمنافسة وخطايا بحوالي 17 مليون دينار

أشار السيد محمد العيادي النائب الأوّل لرئيس مجلس المنافسة أنّ المجلس يختصّ بالنظر في الدعاوى المتعلّقة بالممارسات المخلّة بالمنافسة من أهمّها التحالفات والاتفاقات الضمنية والصريحة التي يكون موضوعها أو أثرها مخلّا بالمنافسة والاستغلال المفرط لمركز هيمنة على السوق والاستغلال المفرط لوضعية طبيعية اقتصادية وتطبيق أسعار مفرطة الانخفاض. ويضمّ المجلس 15 عضوا، وأضاف أنّ المجلس بمثابة المحكمة التي تنظر في الممارسات الاحتكارية المخلّة بالمنافسة التي لها تأثير على التوازن العام للسوق وليس على الأفراد والتي ترد على المجلس عن طريق شكاوى أو بموجب التعهّد التلقائي . وبالتالي فقراراته لها طابع قضائي تقضي أولا بالإذن بالكفّ عن الممارسة المخلّة بالمنافسة وتسلّط ثانيا خطية مالية على الجهة المتورطة في المنافسة تصل إلى 10 بالمائة من رقم معاملات المؤسّسة المخالفة كما يمكن للمجلس أن يتّخذ قرارات تحفظية استعجالية تقضي بالإذن بإيقاف الممارسة إلى حين البتّ في القضية الأصلية المرفوعة أمام المجلس، علما وأنّ قرارات المجلس تكتسي صبغة ابتدائية ويتمّ الطعن فيها استئنافا وتعقيبا أمام المحكمة الإدارية . ويصدر المجلس سنويا ما يناهز 40 قرارا في مادة الممارسات المخلة بالمنافسة .ومنذ نشأة المجلس إلى موفّى سنة 2016 أصدر 467 قرارا منها 90 صدرت بإلادانة تضمّنت خطايا مالية بقيمة جملية قدرها حوالي 17 مليون دينار .

ويبدي المجلس الرأي الاستشاري وجوبا في جميع النّصوص القانونية والترتيبية ذات العلاقة بالمنافسة والأسعار .

ومن أهمّ القطاعات التي صدرت بشأنها عقوبات بسبب الإخلال بقوانين المنافسة ذكر السيد محمّد العيادي الاتصالات والمساحات التجارية الكبرى وبعض المؤسّسات الناشطة في مجال توزيع المحروقات، والنقل الجوّي وتجارة التمور والزيت النباتي والصيدلة ومنتوجات حفظ الصحة . ودعا نائب رئيس المجلس كل المتعاملين الاقتصاديين إلى مزيد تفعيل دور المجلس من خلال الإقبال على رفع شكاوى أمامه في شأن الممارسات المخلّة بالمنافسة . ويُذكر أنّ تونس هي أوّل بلد عربي له قانون للمنافسة والأسعار ومجلس منافسة وهذه التجربة الرائدة في العالم العربي وإفريقيا مشهود لها بتطوّرها لذلك تمّ اختيار تونس مركزا تدريبيا إقليميا حول المنافسة للعالم العربي.

إدانة اتصالات تونس

ومن أهم القضايا الاحتكارية التي بتّ فيها المجلس ذكرت لنا السيدة بثينة الأديب المقرّرة بالمجلس المثال المتعلّق بإساءة استغلال اتصالات تونس وضعية هيمنة لأنّها المالك الوحيد للشبكة القارّة واحتكرت تلك البنية الأساسية في الانترنات القارّة . وقدّمت شركة أورونج شكوى ضدّ اتصالات تونس لأنّ تلك الممارسة مخلّة بالمنافسة . ونظرا إلى أنّ اتصالات تونس ملزمة بتمكين الشركة التي لها إجازة رسمية من الولوج إلى البنية التحتية أصدر المجلس قراره سنة 2015 لفائدة أورونج ضدّ اتصالات تونس وانطلق قرار المجلس من مفهوم احتكار اتصالات تونس للبنية التحتية والحال أنّ إجازة أورونج تضمّنت حقّ النفاذ إلى البنية التحتية.

إدانة شركة الخدمات الوطنية والإقامات منتزه قمرت

وقدّمت لنا السيدة كوثر الشابي المقرّرة بالمجلس، من ناحيتها، وضعية الهيمنة الكليّة والاحتكار التي كرّستها شركة منتزه قمرت على سوقي الحج والعمرة تطبيقا لقرار المجلس الوزاري المنعقد يوم 16 نوفمبر 1998 الذي يكلّف منتزه قمرت دون سواه بمهمّة تنظيم سفرات العمرة . ومن خلال اتفاقية التعاون الممضاة بين المنتزه ووكالات الأسفار والسياحة بتاريخ 25 توفمبر 1998 وضع منتزه قمرت وكالات الأسفار في حالة تبعية اقتصادية باعتبار أنّ المنتزه ينفرد بالأعمال المتعلّقة بإجراء الحجوزات الخاصّة بخدمات السكن والنقل البرّي بالبقاع المقدسة فيما يبقى تدخّل وكالات الأسفار مقتصرا على تسويق تلك الخدمات ورأى المجلس أنّ البنود الواردة في الاتفاقية يحجّرها قانون المنافسة باعتبار أن المنتزه أفرط في الاستغلال بوضع شروط مجحفة يؤدّي عدم الرّضوخ إليها إلى إزاحة وكالة الأسفار واعتبر المجلس أنّ كلّ ما تمخض عن المجلس الوزاري لا يرقى إلى مستوى التراتيب الإلزامية وأن السيطرة الكاملة على الحج هي وضعية أفرزتها اختيارات سياسية. ولهذا قرّر المجلس بتاريخ 13 ديسمبر 2012 اعتبار الممارسات التي أتتها شركة الخدمات الوطنية والاقامات مخلّة بالمنافسة وتوجيه أمر إليها بالكفّ عن تلك الممارسات.

الـجـامـعـــة و«بُـــؤس السيـــاســـة»

• بقلم د. احميده النيفر
رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

1 - في خضّم ما تشهده الساحة الدولية والوطنية من تحوّلات غير مسبوقة يبرز لدى النّخب وجانب من قوّى المجتمع حراكٌ وجدلٌ ممهوران بما يمكن أن يُسمّى حالة «الكل السياسي» الذي تتضاءل معه أهمية جلُّ القضايا الكبرى المعرفية والثقافية والاجتماعية والمؤسّساتية والاستراتيجية بشكل خطير. مع هذا «الكل السياسي» يتبيّن أننّا، في تونس مع أقطار عربية أخرى، بصدد «اكتشاف» معنى جديد للسياسة والشروع بالانخراط فيه وفق اللحظة الحضارية القائمة والخاصيّات التاريخية العامّة والقُطرية. أفضل ما «اكتشفناه» في تونس يُعيدنا إلى ما سبق أن وضعته المُنَظِّرة السياسية الألمانية «حَنّة أرندت» (Hannah ARENDT.) حين اعتبرت أنّ غاية السياسة عامّة هي «قضيّة الحريّة إزاء الاستبداد».

2 - لكن أعقد ما في هذه القضيّة يظهر حين نتوسّع في مفهوم السياسة بما تصدق عليه من قطاع «العمل» وضرورة ما يستلزمه من «النظر». لهذا صحّ القول إنّ أيّ عمل سياسيّ دون وعي تاريخي لا يفضي إلاّ إلى ضروب من العبث وإتلاف للكفاءات والطاقات. أهميّة الوعي التاريخي راجعة لما يعنيه التاريخ من تبدّل وتغيّر لأنّ الأحداث تدلّ على السيرورة والدّوران والتّمرحل. لكن هذا التبدّل لا يكون اعتباطا بل يشتمل في ثناياه على عناصرصامدة تكون هي حاملةً ومؤسّسةً للتغيير الذي يتعيّن من خلاله الثابتُ إلى ما يجب أن يصيرَ عليه من خلال سيره نحو غايته ومعناه. لهذا ورغم ما يهيمن على المشهد الوطني من حالة «الكل السياسي» المتعالي على ما عداه والمصادم لكلّ تنوّع وإبداع فلا مفرّ من الحديث عمّا يُعرف بأزمة الجامعة التونسية رغم ما يبدو أنّ هذا ضرب من التّغريد خارج السّرب.

3 - أوّل ما يدعونا لتناول هذا الموضوع صورة تداولتها أخيرا وسائل التواصل الاجتماعي عن مدى إقبال عدد مهمّ من التونسيين للتسجيل بمؤسّسة تعليمية خاصّة لبلد غربي مع عنوان إنذاري هو «تشييع جثمان التّعليم العمومي». في نفس هذا السياق نشرت أستاذة للآداب الأنقليزية في صفحتها على «الفايس بوك» نصّا وقع تداوله انطلقت فيه من تجربتها باعتبارها نتاج التعليم العمومي التونسي بما تحمله من فكر وطموح وشغف بهذا الوطن العزيز الذي أغدق على تعليمها وأبناء جيلها ومن جاء قبلهم أو بعدهم. أردفت الأستاذة قائلة إنّ غاية ندائها الدفاع عن المدرسة العمومية التي يدرس بها «أبناء المعلّم الذي علّمنا، وأبناء الجندي الذي يحمي ثغورنا، والفلاح الذي يوفّر قوت يومنا، والعامل الذي يشتغل في معاملنا ومناجمنا وضيعاتنا، والفقراء والمعدومون الذين جازفوا بكلّ ما يملكون في مسيرة تحرير هذه الأرض».

من هاتين اللقطتين وإسهاما في معالجة موضوع التعليم العمومي وخاصّة الجامعي الذي مضى على تأسيسه في صيغته الحديثة ما يناهز ستّة عقود يطرح سؤال أوّل موصول بجذور الأزمة وهو: «هل لدينا فعلا جامعة تونسية؟».

4 - يسارع المختصون في الوضع الجامعي الوطني بالتمييز بين ما يتوفّر قانونا ومضمونا من وجود «مؤسّسات للتعليم العالي والبحث العلمي» وبين القول بوجود «جامعة» على الحقيقة. من هذا التمييز يتّضح أنّ الجامعة هي مؤسّسة ذات هيكلية ثلاثية المهام: الأولى علمية تمكّن المنتسبين إليها من معارف وقدرة على تنمية تلك المعارف. ثانية المهام امتلاك رؤية حضارية مميزة تؤدّي إلى الانعتاق من الحَرْفية والتبعية وبما يتيح تطوير البلاد وتحررها. أمّا ثالثة المهام فهي ثقافية لأنّ الجامعة مدرسة تفكير ومخبر آراء بما يرسخ تقاليد التّعايش والتعدّد ويسهم في نموّ المجتمع بالمعنى الواسع للكلمة.

ما لا يجوز الذهول عنه هو ضرورة التفاعل والجدل بين هذه المهام الثلاث لأن ما يجعل الجامعة « جامعة « على الحقيقة هو ما تصنعه من وحدة تلك المهام بما يرسي تعاقدا مجتمعيا ويمنع التعليم الجامعي أن يتحوّل إلى مجال للمحافظة على الامتيازات وتثبيت التفاوت الاجتماعي. في هذا نقرأ للفيلسوف الفرنسي «جاك دريدا» تحديدا هامّا لرسالة الجامعة عند تناوله موضوع «إنسانيات الغد» والمهام المعرفية والأخلاقية الملقاة على عاتق الجامعة وأساتذتها. أهمّ عنصر في تلك الرسالة يتحقّق في معنى الأستاذية المتعيّن في ضرورة الربط بين المعرفة والمسؤولية الأخلاقية الملازمة لها، وعن ضرورة مناهضة الجامعة لكل ضروب الهيمنات الخارجية سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم داخلية لأنّها تحوّل العلم والمعرفة الى مجرّد خبرات برجماتية خالية من أيّ مضمون أخلاقي وإنساني.

5 - بهذا تتبيّن العلاقة الوطيدة بين مؤسّسة الجامعة حين تتوفّر لها الشروط المؤسّسية المحرّكة لها وبين السياسة في فاعليتها الاجتماعية والحضارية التي تستوعبها من غايتها في أنّها «قضيّة الحريّة إزاء الاستبداد». ذلك هو مؤدّى جدلية العلاقة بين الجامعة والمحيط الاجتماعي- السياسي والثقافي الأمرُ الذي تصبح معه حريةُ الجامعة حريةً غير مشروطة لقدرتها على توليد مجتمع سياسي فعّال ومتميّز نتيجة ما يعتمل في المؤسسة الجامعية من وحدة لمهامها الكبرى. هذا ما يجعل الجامعة، في نهاية المطاف، الرّحِمَ التي تَتَخَلّقُ فيها عناصر المشهد السياسي الصاعد بخصائصه ومضامينه وملامح الفاعلين فيه بقدراتهم وآفاقهم.

لذلك فإنّ الاكتفاء بالتعليق على مشهد إقبال التونسيين للتسجيل في الجامعات الأجنبية الخاصّة بأنّه «تشييع لجثمان التعليم العمومي» صحيح في جانب منه لكنّه يظلّ بعيدا عن ملامسة صميم أزمة الجامعة في علاقتها بما نعايشه من اكتشافنا للسياسة كما انتهت إليه اليوم وطنيا وعربيا. الأدقّ أن نقول إنّ الإقبال على الجامعات الأخرى مُنْبِئٌ، في الجانب الأهمّ منه، بانبثاق طور الجديد للاستقلال وتوق لدروب سيادة لم تستطع أن تبلغها السياسة في صيغتها القديمة.

لقد ظلّت مؤسسة التعليم عموما والجامعة خصوصا مَحضنَ مشروع سياسةٍ جديدة لم تولد بعدُ لأنّ في كلّ تعليم استبطانٌ لتجاوز «بؤس» سياسة متهالكة وسعيٌ إلى عالم معرفة تُستَنبتُ فيه سيرورة سياسة مغايرة لقادمِ الأيام. ذلك ما عناه عبد الرحمن الكواكبي في طبائع الاستبداد حين أكّد عن بُغض المستبدّ للعلم ولنتائجه لما للعلم من سلطان أقوى من كلّ سلطان.

6 - أكثر من مؤشر يسمح بالقول إنّ ما تعانيه «الجامعة» التونسية من مصاعب وما آلت إليه مهامها الكبرى إنّما هي دلالات لا تخطئ عن مسؤوليتها على ما اعترى السياسة من «بؤس» وما تردّت فيه نخبها السياسية من محنة الأفول.

أوّل هذه المؤشرات يتصل بالتصنيف العالمي لوضع التعليم الجامعي في تونس والذي لا يُدرج الجامعات والمعاهد الأكاديمية العليا في ترتيب «شنغاي» و«كي آس» العالميين. يقدَّم لتفسير مقاييس الترتيب الأكاديمي للجامعات عالميا أكثر من اعتبار من أبرزها نذكر عدد الدّراسات العلمية المنشورة من قِبَل الأساتذة والباحثين في المجلاّت العلمية الدولية المحكمة إلى جانبها نسبة الباحثين المحرزين على جوائز علمية عالمية مع اعتبار عدد الطلاب المنتسبين إلى الجامعة ودرجة التنوّع في التخصّص العلمي والمخبري المتوفّر بالجامعة.

خلاصة مقاييس الجودة العالمية في المجال الجامعي تتركّز في عامل بارز هو إنتاج المعرفة والقدرة على تنميتها. ما لا يقال إلّا نادرا في هذا الصّدد هو أنّ اكتساب المعرفة وتنميتها يكون من جهة الطالب ومن جهة الأستاذ أيضا وبالأساس باعتبار أنّ المعرفة في السياق الجامعي تعني استيعاب ما توصّلت إليه الشعوب والحضارات من نظريات فلسفية واجتماعية وتكنولوجيـــة وما يستدعيه ذلك من حـــركية فكرية وحضـــارية في تفـــاعل مـــع واقع المجتمع واحتياجاته. هذا ما يجعل الجامعة مؤسّسة ثقافية بامتياز بما تعنيه الثقافة من فاعلية مجتمعية تتجاوز بها النقل الحَرْفي وما يفضي إليه من تبعية واستلاب بفضل امتلاك رؤية حضارية مميّزة تسهم في إبداع صيغ وحلـــول وتقنيات جـــديـــدة.

7 -عند هذا الحدّ يمكن القول إنّ «الجامعة» التونسية في مفترق طرق وإنّ فرص الإنقاذ قائمة ومطلوبة لاعتبارات عديدة في مقدّمتها ضرورة الخروج من «بؤس السياسة» وهذا ما تؤكّده بعض الحالات العربية المنكبّة على تفعيل الديناميكية الجامعية بشكل لافت. حالة أولى تستوقفنا من الرباط، عاصمة المملكة المغربية حيث انعقدت جامعة صيفية في مركز مغارب للدراسات في الاجتماع الإنساني عن موضوع « التعدّد الثقافي وبناء المجتمعات: العوائق والفرص». في هذه الدورة الثالثة لجامعة مغارب التقى باحثون من المغرب الكبير ومن اختصاصات علمية مختلفة فيما يسمى تفاكرا علميا يحضره عدد من طلبة الماجستير والدكتوراه لإثراء فكرهم ومناهج بحثهم فيما يتابعونه من محاضرات صباحية وفيما يقدّمونه مســـاءً مـــن عـــروض لأعمالهم في ضـــوء الطـــروحات المتعلقة بالتعدد الثقافي منظورا إليها من زوايـــا علمية مختلفة.

في فضاء أكاديمي ثان استقبلت بيروت مطلع هذا الصيف في رحاب الجامعة الأمريكية ورشة عمل صيفية متخصّصة عن «إعادة بناء الدراسات الإسلامية». كان لقاء للتباحث فيما تقتضيه هذه الدراسات من مراجعات وتقييم وإضافة في ضوء ما ظهر في الدراسات الغربية من أعمال المراجعين الجدد Neo-revisionists وفيما ظهر في العالم الإسلامي من نزعات «الإحياء الإسلامي الجديدة» وما تتطلبه من حفر معرفي وصياغات قانونية وسياسية.

منتهى البحث في الشأن الأكاديمي التونسي في ضوء الحالتين السابقتين الواعدتين وفيما يُطرح عن معضلة التعليم الجامعي في العالم هو أنّ جامعتنا ستبقى مأزومة ليس لإعراضها عن الالتزامات والمسؤوليات التي يرتقبها محيطها المجتمعي فقط بل أيضا لذهولها عن طبيعتها الثقافية ومآلاتها السياسية وعن عنصرها الصميمي وهو واجب البحث عن الحقيقة.

ا.ن.

ثقافة الاغتصاب

• بقلم منجي الزيدي

أصبح تواتر جرائم الاغتصاب في المجتمع التونسيّ قضيّة رأي عام. وهي جرائم تستهدف بالأساس الأطفال والنّساء. ولم يسلم من أذاها المروّع الرضّع و العجائز والمعاقون والمرضى... وتتداول التّقارير الإعلاميّة وبعض الدّراسات أرقاما تعكس حجم الظاهرة وخطورتها. ذلك أنّ الاحصائيّات القضائيّة تؤكد أنّ عدد قضايا الاغتصاب التي تمّ الفصل فيها في السّنة القضائيّة 2015 / 2016 بلغ 101 قضيّة، في حين تشير إحصائيّات طبيّة إلى استقبال 800 حالة اغتصاب بين أفريل 2016 وأفريل 2017 ...وتبقى هذه الأرقام نسبيّة باعتبار أنّها تتعلّق بالحالات المصرّح بها أو التي تَعَهَّدَ بها القضاء، في حين تظلّ حالات أخرى كثيرة طيَّ السّر و الكتمان جرّاء عوامل الخوف والخجل والشعور بالذّنب...

←

تندرج جريمة الاغتصاب في باب العنف الجنسيّ الذي يُعرّفه القانون الأساسيّ لسنة 2017 المتعلّق بالقضاء على العنف ضدّ المرأة في تونس بكونه « كل فعل أو قول يهدف مرتكبه إلى إخضاع المرأة لرغباته أو رغبات غيره الجنسيّة باستخدام الإكراه أو التغرير أو الضّغط وغيرها من وسائل إضعاف وسلب الإرادة وذلك بغضّ النّظر عن علاقة الفاعل بالضحيّة.».وتُسلّط المجلة الجزائيّة التّونسيّة عقوبات على هذا الجرم تصل حدّ حكم الإعدام.

وتشير تقارير المنظمة العالميّة للصّحة إلى أنّ «أكثر من 35 بالمائة من النّساء في العالم عَانَيْنَ إمّا من عنف الشّريك الحميم أو عنف غير الشُّركاء إن بدنيًا أو جنسيًا». كما أنّه وعلى الصّعيد العالميّ «يرتكب الشّريك الحميم نسبة تصل إلى 38 بالمائة من جرائم قتل النّساء». ويتعرّض7 بالمائة من النّساء للاعتداء الجنسيّ من قبل شخص آخر غير الشّريك.وتترتّب عن كلّ هذه الاعتداءات آثار خطيرة على مستوى الصّحة النفسيّة والجسديّة والاجتماعيّة...ولا تعدو هذه الأرقام والنِّسَب أن تكون سوى مؤشّرات لا تعكس الواقع بدقّة. فالاغتصاب ليس اعتداءً عاديًا يمكن التصريح به بسهولة إذ أنّ الضحيّة هي التي تتحمّل أوزاره وتبعاته الاجتماعيّة، وهي مجبرة في أكثر الأحيان على «ابتلاع السّكين بدمها» كما يقول المثل الشعبي التونسي. وكثير من الأسر تكتم سرّها وتدفن مأساتها «درءًا للعار» وكي «يسلم الشّرف الرفيع من الأذى».

و هنالك إجماع تامّ على إدانة جريمة الاغتصاب واعتبارها جريمة مُطلَقَة un crime absolu . ويطالب الكثيرون بتفعيل حكم الإعدام على مرتكبها.وينادي آخرون بعقوبة خصيّ الجّاني émasculation . ومع ذلك فهذه الجريمة تبقى مجهولة المعالم. ولم تحظ بالقدر اللازم من البحث والدّراسة، وذلك لتعقيد الموضوع وتشعّبه وصعوبة النّفاذ إلى المعلومات حوله. وكذلك الحاجة لمزيد تدقيق مفهوم الاغتصاب وعدم الاكتفاء بالتعريف الجنائيّ، بما يساعد على تفادي الأحكام الجاهزة والتعميمات السّطحيّة.

وقد ظلّت محاولات علم النّفس وعلم الاجتماع لضبط ملامح القائم بفعل الاغتصابle profil du violeur غير دقيقة. وانحصر التوصيف في عوامل نفسيّة (مرض نفسي، اختلال عقلي، طفولة صعبة، شخصيّة عدوانيّة...) وأخرى اجتماعيّة (وسط اجتماعي شعبي، مستوى تعليمي وثقافي محدود، مشاكل اجتماعية، عنف أسري...). وهي عوامل غير كافية لتقديم فهم وتحليل متماسك، وقد تفضي إلى تداول الأنماط الجاهزة Stéréotypes.

والاغتصاب جريمة تحتمي بما يُسمَّى «ثقافة الاغتصاب». وهو مصطلح يُقصَد به : «الأفكار الجاهزة والتمثّلات المنتشرة التي تحاول تبرير جريمة الاغتصاب بالتركيز على مسؤوليّة الضحيّة و التماس الأعذار للمُغتَصِب». وذلك بتداول جملة من التصورات الجاهزة التي من شأنها في نهاية الأمر أن تفضي إلى التطبيع مع هذه الجريمة، ومن بين هذه التصورات: التشكيك فيما حدث: باعتبار صعوبة إثبات الأركان المادية والمعنوية لهذا الجرم، وعجز الضحية في أغلب الأحيان عن ملاحقة المُعتدي، وتجاوز حواجز الخوف والترهيب ونظرة المجتمع وثقافته السّائدة والظّالمة،واستعدادها للفحوصات والمكافحات وما إلى ذلك من المواقف العصيبة.

ربط الاغتصاب بالأصل الاجتماعيّ للمُغتَصِب: وحصر الجرم في المنحرفين وقطّاع الطّرق والمدمنين وأبناء الأحياء الفقيرة والنازحين والمهاجرين... الذين يستفردون بضحاياهم في الأزقّة المظلمة والأماكن المقفرة. وقد أثبتت دراسات عديدة أنّ الاغتصاب جريمة قرب Un crime de proximité تُرتكب غالبا في محيط الضحية الأسريّ والاجتماعيّ، و في المحيط المدرسيّ والاقتصاديّ، وحتى في أماكن العبادة... وكثيرا ما تحدث أيضا على فراش الزوجيّة بوجه مكشوف وبعقليّة إقطاعية يحمل صاحبها (رخصة شرعيّة).

التأكيد على مسؤوليّة الضحيّة: وتبرير الجرم الحاصل عليها بنمط عيشها ومظهرها وسلوكها: (لباسها مثير، تدخّن وتضحك كثيرا، تمازح الذكور، تسكن بمفردها..) . وهذا التصور الشّائع سطحي ومتخلّف فكثيرات هنّ العاملات المكافحات اللواتي يَسرِين بِقِطَعٍ من اللّيل لكسب رزقهن وإطعام أسرهنّ فيعترضهن قطّاع الطّرق من ضباع اللّيل، أو يقعن تحت مخالب الصّعاليك من أرباب العمل...و قد شهد مجتمعنا حالات اغتصاب لعجائز وأطفال ورضّع...

انهيار الضحية أمام جلادها يعني الرضا والقبول: يقول كثيرون: كان بإمكانها أن تقاوم، أن تصرخ، أن تهرب...ولكنّها أذعنت، فهي إذاً شريكة في العملية. ويذهب البعض الآخر من أصحاب الخيال المريض إلى أنّ النّساء يرغبن فيمن «يمتلكهن عُنوة» و «يَطأَهُنّ» و«يتمنّعن وهن الرّاغبات» أو في لغة أخرى elles aiment ça . وهذه صورة من صور الثقافة الجنسية السقيمة الرائجة.

خلاصة القول : تحتاج الكثير من المسلمات حول الاغتصاب إلى المراجعة.«كليشيهات» كثيرة تبعدنا عن جوهر القضية. وإنّ من أوكد الواجبات الملقاة على عاتقنا اليوم مكافحة «ثقافة الاغتصاب» هذه، والدراسة العلمية الدقيقة لهذه الجريمة النكراء، والعمل التوعوي المتواصل لكسر جدار الخوف والصمت.

م.ز.

أستاذ تعليم عال بجامعة تونس

SIMPAR
ISO9001
Since 1973

RESIDENCE LA BRISE
Jardins de Carthage

Vous invite à découvrir son nouveau projet **"LA BRISE"** sis aux jardins de Carthage. Résidence **de très HAUT STANDING** abritant 17 appartements **S+1, S+2 et S+3** ainsi que **2 Duplex et** un grand parking sous sol.

45 ans EXPERIENCE

Pour plus d'informations, nous contacter au :

simpar@planet.tn
www.simpar.tn
SIMPAR
29 921 011 / 29 921 009

يوميّـــات مـــواطن عيـــــاّش

ولّـــى شـــــاف... وشـــي مـــا شـــاف!

• بقلم عادل الدحمر

«من الصغرة وأنا كشّاف، كنت نحب نولّي شاف» : هكذا اعترف لي صديقي العيّاش ذات عشية، ونحن في قعدة أخوية، كلها ودّ وصفاء، بين خضرة وماء، لا تظللنا إلا السماء...لكن الأقدار لم تشأ أن تحقق له حلم الريادة، فقد خرج من الكشّافة قبل أن يرتقي إلى القيادة.

وعندما انتدب بالإدارة حط في مخّو وهو في أسفل السلم، أن يصعد يوما إلى رتبة «معلّم»، معناها يولّي شاف، العباد منّو تخاف. فالشاف، كما يقول العيّاش، موش لعبة، بل صاحب سيطرة وهيبة، يتحكّم في مجموعة من الموظفين، يأتمرون بأوامره، ويخضعون إلى مراقبته، يحسب عليهم أنفاسهم أشدّ حساب، وله عليهم سلطة الثواب والعقاب، وتلك ألذّ سلطة لدى الشيفان، كما يراها العيّاش بحكم تجربته في الإدارة أزمانا وأزمان. فهو كموظّف صغير، يعرف ما معنى أن تكون تحت إمرة مدير، يضيّق عليك الخناق باسم الانضباط وحسن التسيير، واقف لك كيفما سؤال الملكين في القبر، شاهرا سيف العقاب مثل كف القدر، محاسبا بالدقيقة والثانية على أوقات الدخول والخروج، حتّى تولّي م الخدمة فادد وممروج. لكن ما لا يقوله العياش في هذه القضية، هو أنّه اختصاصي رقم واحد في الفصعة والشهادات الطبية، وحيّر كل الشيفان بعملاته الشيطانية. وبقدر كره العيّاش للمعلمية، كان حبّه لتحمّل المسؤولية. وهذا تناقض، كما يعترف العيّاش، لا يعلمه إلاّ من تقلّب في الأجواء الإدارية. لكن التناقض الأكبر الذي لا ينكره العياش كان بين طموحه إلى الصعود والارتقاء، وسلوكه المنافي لبلوغ القمّة الشماء. فالعيّاش لا يعرف قفّة ولا بندير، ولا صبّة ولا تكعبير، وهو لا يحسن التملّق والتزلف، ولا الكلام الجميل المتكلّف....وهذه صفات لا تحبّبك إلى مسؤول أو مدير، ولا يمكن التعويل عليها يوم الحسم الكبير. وزيد العيّاش ما عندوش أكتاف بالكل، وهذا عائق آخر ليس معه أمل.

لذلك قرّر العيّاش أن يعوّل على الزمن، وهو أحسن رفيق لمن يصبر على المحن. وبالفعل جا نهار وتحقّق المأمول، وولّى العياش مسؤول: «مسؤول صغير» كيف ما قالو الحسّاد، لكن ماهو إلّا شاف بالفم والملا في عينين العباد، تحتو موظّفين يأتمرون بأوامره، ويخضعون إلى مراقبته، باش يوّريهم النّجوم في القايلة، ويمشّيهم ع الحصحاص إذا سيرتهم معاه ماكانتش هايلة. ولن أروي لكم ماشهدته إدارة العياش والحومة، من متفرّحات قمقومة، بمناسبة هذا الحدث العظيم، ودخول العياش إلى جنّات النعيم.

ولم يمر يومان على تسمية العياش وتسلّم مسؤوليته، حتّى فاجأني بخبر استقالته، في زيارة فجئية، إلى بيتي عشية. ولمّا سألته عن الأسباب، أسرع بالجواب. قال العيّاش : «على غير عادتي عندما كنت مجرّد مستكتب إداري، قصدت الإدارة م الفجاري، لكي أعطي المثال في احترام مواعيد العمل، ولكن كذلك (وخاصّة) لأمسك بالكمشة الموظفين القادمين إلى الشغل دون عجل، فإذا بي أجد نفسي في مكاتب القسم وحيدا مثل الغول، بعد مرور أكثر من نصف ساعة على وقت الدخول، ثم بدأ الموظفون يتقاطرون، هذا في يده قهوة ولخرى كسكروت زبدة ومعجون، ولا أحد منهم اعتذر، أو إليّ نظر. ولما حمّرت عينيّ وهدّدتهم باستجواب، قد يليه عقاب، بعثوني نشيّت بكل أريحية، وثمّة حتّى شكون تمقصد عليّ» : «كان تحب تعاقب حد أهوكة قدّامك الميترو والكار، هوما لي عملو روتار !»، فما كان لي أن أعلنت الانسحاب ، متوعدًا ومهدّدا بأشدّ العقاب.

«ولما انتهى الجماعة من فطور الصباح، وسكتوا أخيرا عن الكلام المباح، اعتقدت أنّ وقت العمل قد حان، فأخذت في توزيع العمل على الأعوان، لكني لم أجد إلّا وجوها عابسة، ومواقف رافضة، هذه تتعلّل بالمرض والتّعب، والآخر يرى نفسه مظلوما دون سبب: الخدمة الكل طايحة عليه، وغيرو لاحد سائل عليه، والثالث قال اشنوّه عندو خدمة مازال يكمّل فيها، وأنا بيناتهم كي الكورة يشوطو فيها. وعندما جمعتهم في مكتبي وحرّشت معاهم الكلام، أجابوني دون احترام. «ياخي ناسي يا سي فلان، لي أحنا عملنا ثورة باش ماعادش نتهان؟ فبحيث افهم روحك قبل فوات الأوان !»، وخرجوا كلّهم في الحين، بالإضراب ملوّحين.

قال العيّاش : «وبالفعل فهمت روحي قبل ما يفهموني بالسّيف، وقلت لنفسي : «يزّي يا عيّاش م التشفشيف ! خلّيك موظف تحكم بأحكامك، ولا شاف حد ما يسمع كلامك !»...

ع.ل

مـــركـــز الأعـــمـــال والخـــدمـــات بالعَقْبَه

تملّك المبنى الذي يحقق النجاح لأعمالكم

فرصة عقارية استثنائية تتاح لكم فلا تفوّتوها! تتطلعون لامتلاك مكاتب أو محلاّت تجاريّة أوغيرها، في منطقة ممتعة يسهل الوصول إليها، وذات مستقبل رائع؟ مركز الأعمال والخدمات بالمنطقة الصناعية بالعقبة، شمال غرب العاصمة تونس، تقدم لكم عرضا فريدا ومميّزا. على مساحة تفوق الـ 15 ألف متر مربع، منها 10 آلاف متر مربع مغطاة ، شيّد مبنى كبير وحديث ، يجمع بين توفّر كل الخدمات وروعة الهندسة المعمارية ، وهو يرتفع على أربعة طوابق، وبمساحات تناسب احتياجاتكم و دون أدنى انتظار اتمام خدمات التملّك واستلام المفاتيح.

مزايا عديدة يوفرها لكم مركز الأعمال والخدمات ويمكّنكم بمنطقة العقبة في فرصة جديرة باقتنائها:

القرب من العاصمة، على محور الطريق السريعة والطرق الرئيسية، بأيسر سبل الوصول إليه انطلاقا من الطريق المزدوجة X20 ، من المطار إلى محوّل الدندان، تتّجهون يمينًا نحو منطقة العقبة، التي يقترب منها خط المترو الخفيف، وذلك في اتجاه الطريق السيّارة مجاز الباب - باجة. عندها سوف تجدون مدخلا مستقلا ومحروسا للمنطقة الصناعية، أنتم على بعد 5 كلم فقط من الطريق السريعة، وعلى بعد 15 كم من المطار ومحطة القطار، وعلى بعد 20 كم من ميناء حلق الوادي وعلى مسافة قصيرة من ضاحية حدائق تونس الجديدة التي أنشأتها الوكالة العقاريّة للسكنى على مساحة 350 هكتار، وهي تتوفر على 1000 مقسم بين فردي وجماعي إلى جانب مقاسم إدارية وتجارية ، وتتسع لحوالي 60 ألف ساكن. يمكنكم أيضًا الوصول إلى مركز الأعمال والخدمات عبر الطريق السريعة الجنوبيّة، بمنطقة العقبة إثر تخطّي منطقة محطة مرناق وذلك من باتّباع محوّل الطريق إلى مدن شمال البلاد.

منطقة صناعية وتجارية جذابة

تمتدّ المنطقة على أكثر من 111 هكتار، وتتوفر على مركز تكنولوجي، كما تحتضن على مساحة تقدّر ب70 هكتار، ما لا يقل عن 60 مؤسسة تشغّل ما يقارب 6000 عامل وإطار، وقد اختارت عدّة مصانع كبرى وشركات التوزيع ووكالات السيارات والمخابر المتميزة والمراكز التقنية المهنية وغيرها من المؤسسات الاستقرار هناك. ومن بينها كراون وبيجو وديليس دانون وأرشيدوك وباست برند، مقاولات بوزقندة، المخبر المركزي للتحاليل، والمركز التقني للصناعات الغذائية وغيرها...

وتتأكد هذه المؤسسات كل يوم بأكثراقتناع من صواب اختيارها لما يحظى به قرارها من امتيازات كبيرة باعتبار التواجد داخل هذه المنطقة الصناعيّة يمثل فرصة مصدر لتظافر الجهود والتفاعل. وتتطلب هذه الشركات العديد من الخدمات المختلفة سواء من المقاهي والمطاعم والقاعات الرياضية ورياض الأطفال والبنوك وغيرها.

مركز أعمال في موقع رائع

في قلب المنطقة الصناعية، شيّد مركز الأعمال والخدمات فوق ربوة في محيط أخضر، تشرف على مختلف المكونات الأخرى، ، ويمكن الوصول إليه من خلال شارع بعرض 24 مترًا، وهو يتركب من مبنى أساسي يحظى بمأوى للسيارات يتوفر على 128 مربض ، كما يتواجد بنفس المبنى مركز للحرس الوطني، ومن المنتظر أن يحتضن أيضا فرعًا بنكيا ، بالإضافة إلى عديد الخدمات الأخرى. ويعدّ هذا المجمع الإداري والتجاري هو المركز المهيكل للمنطقة.

العديد من الفرص المتاحة لكم مجموعة واسعة من الأنشطة المفيدة يمكن أن تحتضنها الفضاءات المختلفة المعروضة للبيع: مكاتب فردية أوفي شكل فضاءات مهيئة أو مساحات مفتوحة ، عيادات طبية ، مختبرات، مقاهي، مطاعم، قاعات رياضة، قاعات للعرض ، محاضن ورياض الأطفال، فروع بنكيّة ... وتتوفر كل هذه الفضاءات في مساحات مختلفة تناسب احتياجاتكم.

أسعار مغرية

منذ البداية، تم اعتماد سياسة بيع أسعار في متناول الجميع مثلما حرصت عليها الشركة العقارية وهي الشركة التونسية لبعث الأقطاب العقارية والصناعيّة (STPI) ، المنبثقة عن عديد من البنوك. وقد جاء بعث هذا المشروع في سنة 2007 ضمن سياسة الدولة لإنشاء مناطق صناعية وأقطاب تكنولوجية جديدة وكذلك تشجيع المؤسسات الصغرى والمتوسطة. وتم خيار دعم الاقتصاد في تحديد أفضل الأسعار الممكنة، وجعلها متاحة للمشترين. وعلى هذا الأساس فقد حُدّد سعر البيع ما بين 1.300 و 2.500 دينارا(*) للمتر المربّع حسب طبيعة الاستغلال والموقع وذلك على النحو التالي:

- **المكاتب** : من 1.300 إلى 1.500 د للمتر المربّع الواحد
- **المطاعم** : من 1.800 إلى 2.000 د للمتر المربّع الواحد
- **المحل التجاري (الواجهة)** : 2500 د للمتر المربّع الواحد

(*) دون احتساب الآداء على القيمة المضافة

تملّك الآن

بينما تتقلص العروض الجيّدة في المناطق الممتازة وذات الإمكانات العالية، فإن مركز الأعمال بالعقبة يجمع بين مزاياه العديدة وأسعاره المناسبة للغاية. وبذلك يشكل فرصة حقيقيّة لا ينبغي تفويتها.

اتصلوا بنا، وتفضلوا بزيارة الموقع لاختيـــار العقـــار المناسب لكم. علمـــا بأنه يتم تسليم المفاتيح مبـــاشرة عنـــد توقيع العـــقـــد.

الشركة التّونسيّة لبعث الأقطاب العقـــاريّـــة والصّنـــاعيّـــة
Société Tunisienne de Promotion des Pôles Immobiliers et Industriels
STPI
إقامة القبّة الطابق الأوّل، شارع الهادي نويرة، النصر 2
الهاتف: 321 852 70 – 322 852 70
الجوّال: 704 303 98
info@stpi.com.tn
www.stpi.com.tn

آخر تطوّرات الحرب على اليمن

هل هي صحوة الضمير الإنساني؟ أم هو المكر السياسي الغربي المتجدّد؟

من المشروع، في نظري، أن نطرح هذين السؤالين بعد أن صدر في الثامن والعشرين من شهر أوت 2018 التقرير الذي أعدّه فريق الخبراء المستقلين الإقليميين والدوليين الذي شكّله مجلس حقوق الإنسان التابع لمفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، عن الوضع الإنساني والحقوقي في اليمن، خلال الفترة الممتدّة من سبتمبر 2014 إلى جوان 2018.←

ومثلما هو معلوم، فإنّ هذا التقرير الذي يعدّ أول تقرير أممي من نوعه، تضمّن اتّهامات خطيرة لمختلف أطراف النزاع في اليمن، وانتهى إلى أهم النتائج التالية:

• أنّ الاطراف الرئيسية في النزاع هي القوات المسلحة الملكية السعودية، والقوات المسلحة الإماراتية، والقوات المسلحة اليمنية، و«سلطات الأمر الواقع» من قيادات جماعة الحوثي المسلّحة.

• بقلم محمّد ابراهيم الحصايري

• أنّ أفرادا في هذه الأطراف أي في الحكومة الشرعية اليمنية والتحالف العربي (المملكة العربيـــة السعـــودية والإمارات العربية المتحدة)، وفي «سلـــطات الأمر الواقع» من جماعة الحوثي، ارتكبوا أفعالا قد تصل إلى الجرائم الدولية، وقد أعدّ فريق الخبراء قائمة سرية في هؤلاء الأفراد، وقدّمها إلى مفوّض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان.

• أنّ أطراف الصراع ارتكبت وما تزال ترتكب جرائم وانتهاكات للقانون الدولي.

• أنّ غارات التحالف الجوية أسفرت عن وقوع أكثر الضحايا المدنيين، بشكل مباشر، وأنّ مناطق سكنية، وأسواقا وتجمّعات عزاء وأفراح، ومنشآت اعتقال، وقوارب مدنية، وحتى منشـآت صحية تعرّضت للقصف الجوي.

- أنّ لدى خبراء الفريق، بناء على الحوادث التي تمّت دراستها، أسبابا معقولة تجعلهم يعتقدون أنّه من المحتمل أن يكون أفراد في الحكومة اليمنية والتحالف قد نفّذوا هجمات تنتهك مبادئ التمييز والتناسب وواجب اتخاذ التدابير الوقائية، بما قد يصنّفها جرائم حرب.

• أنّ تحقيقات فريق الخبراء تؤكّد انتشار الاعتقال التعسّفي في أنحاء اليمن، وإساءة المعاملة والتّعذيب في بعض المنشآت، كما أنّ دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية والقوّات الحكومية اليمنية متّهمة بانتهاك حقوق الإنسان، وبارتكاب انتهاكات صارخة في حقّ معتقلين يتعرّضون للصعق الكهربائي والاغتصاب.

• أنّ فريق الخبراء تلقّى معلومات تشير إلى أنّ حكومة اليمن وقواتها المدعومة من التحالف وقوات الحوثي - صالح قامت بتجنيد الأطفال واستخدامهم للمشاركة بشكل فاعل في الأنشطة القتالية. وفي معظم الأحيان تراوحت أعمار الأطفال بين الحادية عشرة والسابعة عشرة من العمر، مع ورود تقارير مستمرّة بشأن تجنيد أو استخدام أطفال في الثامنة من العمر.

• أنّ رئيس الفريق كمال الجندوبي، أكّد في المؤتمر الصحفي الذي عقده بمناسبة تقديم التقرير أنّ الانتهاكات التي تم توثيقها كانت «مروّعة»، وقد حثّ كل الأطراف على منح الأولوية لضمان كرامة البشر في هذا الصراع الذي وصفه بـ«المنسي»... كما حثّها على اتخاذ التدابير الضرورية لرفع القيود عن الدخول الآمن والعاجل للإمدادات الإنسانية وغيرها من السلع المهمّة للمدنيين، وعن تنقّل الأشخاص بما في ذلك عبر مطار صنعاء الدولي بما يتوافق مع القانون الإنساني الدولي.
* أنّ الفريق حثّ مجلس حقوق الإنسان على ضمان إبقاء الوضع في اليمن على أجندته، من خلال تجديد ولاية الفريق.

والمتأمّل في محتوى هذا التقرير، وما تضمّنه من اتّهامات صريحة وخطيرة لأطراف النزاع في اليمن، لا بّد أن يراوده نوع من الإحساس بأنّه قد يؤشّر إلى بداية صحوة الضمير الإنساني الذي ظلّ، على امتداد ثلاث سنوات ونصف، غائبا أو مغيّبا عن هذه الحرب التي يؤكّد مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، أنّها تسبّبت، حتى الآن، في مقتل 6600 وإصابة أكثر من 10500 مدني، ومن المرجح أن تكون الأرقام الحقيقية أعلى من ذلك بكثير.

فهل حقًا هي بداية صحوة الضمير الإنساني؟ إننّا نتمنّى ذلك، من باب التفاؤل، غير أنّ الواقع لا يتطابق، بالضرورة، مع ما نتمنى، ذلك أنّ ردود أفعال الحكومة اليمنية ودول التحالف العربي التي تدعمها على التقرير، لا تدلّ على أنّها تتّجه، في ضوء نتائجه، نحو مراجعة نهجها، والتراجع عن هذه الحرب العبثية الوحشية المدمّرة، ويكفي في هذا السياق أنّ نلاحظ أن هذه الأطراف قابلته بزوبعة من الانتقادات الشديدة فشكّكت في مصداقيته، وحياديته، ومهنيته، كما وصفته بالضّعيف جدًا وبأنه لا يختلف عن تقارير منظّمات المجتمـــع المدني غير الحكومية، أو أيّ تقارير إعلامية أخرى، وعابت عليه عدم الدقّة والارتباك والفوضى في استعمال المصطلحات وانتقاء التسميات...

على أنّ الأخطر من ذلك هو الموقف الذي عبّر عنه وزير الدولة للشؤون الخارجية الإماراتي الذي أكّد في إحدى تدويناته أنّ «لكلّ أزمة تحدياتها السياسية والإنسانية، ولكن يبقى الأساس في أزمة اليمن قيام التحالف بدوره نحو استعادة الدولة اليمنية، وحفظ مستقبل المنطقة من التغوّل الإيراني وتقويض أمننا لأجيال قادمة، هـــذه هي أولويتنا وعلينا انطلاقا منها القيام بما يلزم على الصعيد الإنساني والإغاثي والتنموي».

وقد أضاف في تدوينـــة أخـرى قائلا إنّ «الحروب تحمل في طياتها آلامها وأفغانستان والعراق وسوريا شواهد، ولكنّنا في خاتمة المطاف مسؤولون عن أمننا واستقرارنا وهنا أولويتنا».

ولا يحتـاج هذا الكلام الى بيان أو تبيين، فهو يحمل رسالة واضحة إلى الدول لا سيّما الغربية منها التي تدعم التحالف العربي ولكنّها لا تتورّع عن انتقاد ممارساته في اليمن، بأنّ عليها أن تتذكر سلوكها هي في البلدان التي تدخّلت أو تتدّخل فيها، كما يؤكّد، بالتالي، أنّ التحالف مصرّ على الاستمرار في الحرب، وربما في نفس الممارسات، حتّى تحقيق غاياته.

وهذا الموقف هو الذي يدفعنا الى طرح السؤال الثاني، أي هل يكون التقرير في نهاية المطاف مجرّد إفراز من إفرازات المكر السياسي الغربي القديم الجديد في تعامله مع الأوضاع والقضايا العربية عموما؟

إنّ العديد من القرائن تدلّ على ذلك وهي إجمالا تتمثّل فيما يلي:←

1 - أنّ نشـــر التقرير جاء أيّاما معدودات بعد عملية قصف الحافلة المدرسية التي أودت يوم 09 أوت 2018 بحياة 51 مدنيا منهم اربعون طفلا، وقد أثارت هذه «المجزرة» ضجّة كبرى في العالم بأسره، وحُمِّلَت المسؤولية عنها لا للطيران العسكري السعودي وحده، بل أيضا للولايات المتحدة الأمريكية التي تزوّد المملكة بالأسلحة الفتّاكة التي تستخدمها في تقتيل اليمنيين.

وانطلاقا من أن القنبلة المستخدَمَة في قصف الحافلة وهي قنبلة موجّهة بالليزر ويبلغ وزنها 227 كيلوغراما كانت أمريكية الصنع فقد كان من الضروري أن تحاول الولايات المتحدة تبرئة نفسها سواء من خلال الايعاز بالتعجيل بنشر تقرير فريق الخبراء، أو من خلال تكرار التصريحات التي تتحدث عن إمكانية تقليص الدعم العسكري والاستخباراتي للمملكة إذا لم يبذل السعوديون جهداً للحد من قتل المدنيين في الغارات الجوية.

وتجـــدر الملاحـــظة أن المملكة العـــربية السعودية وجدت نفسها مضطرّة للإقرار، يوم 01 سبتمبر 2018، بأن عملية قصف الحافلة المدرسية كانت نتيجة خطإ، غير أنها واصلت تحميل الحوثيين المسؤولية عن هذا الخطإ، لأنهم يستخـــدمون المدنيين كـــدروع بشرية.

2 - أن فريق الخـــبراء الذي أعـــد التقرير كان برئاسة كمال الجندوبي التونسي العربي وكأن الذين شكلوا الفريق أرادوا أن يكون الشاهد على مرتكبي «الفظاعات في اليمن» من أهلهم، أي من العرب، تدعيما لمصداقية شهادته واستبعادا لأيّ تهمة بالتحيز وعدم الموضوعية لو كان الرئيس أجنبيا...

ومن المهم في هذا السياق أن نلاحظ أن الولايات المتحدة أعربت عن «قلقها» مما جاء في التقرير من انتهاكات محتملة للقانون الدولي، وأكدت أن «لا شيء يبرّر مثل هذه الجرائم إذا كانت حدثت فعلا» ودعت أطراف النزاع إلى «اتخاذ الإجراءات الضرورية لتفادي مثل هذه الانتهاكات»، غير أنها، في مقابل كل ذلك، لم تتخذ أي قرار بتقليص الدعم الأمريكي للتحالف العربي، بل إنها حرصت على التأكيد مجدّدا على أنّ الرياض «حليفة استراتيجية» لها.

وليس هذا فحسب، فقد اكتفى وزير الدفاع الأمريكي جيمس ماتيس الذي أقر بان «كل خطأ مأساوي»، بالدفاع بقوة عن التحالف العربي، وقال إن الدعم الأمريكي له «ليس غير مشروط» وأن «على السعوديين بذل ما بوسعهم انسانيا لتفادي أية خسارة لنفس بشرية بريئة ودعم عملية السلام التي ترعاها الأمم المتحدة»، وإلى ذلك فإنه من غير المتوقع، في نظر المراقبين، أن يوافق الرئيس الأمريكي غريب الأطوار دونالد ترامب الذي يرى في السعوديين حليفا رئيسيا، على تخفيض الدعم الذي تقدمه واشنطن للرياض.

3 - بالنظر إلى ما تقدم، يُخشَى ألا يكون التقرير سوى وسيلة من وسائل التمويه وذر الرماد في العيون، وألا يكون سوى أداة من أدوات الاستمرار في الابتزاز السياسي والمالي لدول التحالف العربي، لا فحسب حتى نهاية الحرب، بل حتى بعد نهايتها، إذ ستُفتَح، يومئذ على مصراعيها، أبواب المحاسبة والمعاقبة على جرائم الحرب وانتهاكات القانون الدولي التي وثقها التقرير...

وعلى كل فإن غدا لناظره قريب، وما من شك أن تعثّر انطلاق محادثات السلام التي كان من المقرر أن تبدأ بجنيف يوم السادس من سبتمبر الجاري بين الحكومة اليمنية والحوثيين برعاية الأمم المتحدة، لا يدعو إلى التفاؤل، وهو قد يؤكد أن لا بصيص ضوء يلوح في أفق تدرج النزاع في اليمن على طريق الحل.

م.ا.ح.

مـن أتـاتـورك إلى أردغـــان

مقاربة لفهم السياسة التركية الجديدة

• بقلم محمّد لسير

عندما نتناول تاريخ تركيا الحديث وخاصة حكم الزعيم الإسلامي رجب طيب أردوغان، يتبادر إلى الذهن تاريخ العثمانيين الذين أسّسوا إمبراطورية في أواخر القرن الثالث عشر (1299) عندما احتل عثمان الأوّل رئيس إمارة صغيرة في شمال غرب الأناضول المدينة البيزنطية Mocadène (مدينة Bilecik التركية حاليا)، التي كانت منطلقا لعديد الفتوحات في أوروبا وآسيا والعالم العربي وإفريقيا حتى القرن السابع عشر.←

يذكر التاريخ أنّ القوّات العثمانية وصلت إلى مشارف مدينة فيينا مرّتين في 1529 وفي 1683 بعد أن استولت على منطقة البلقان وعلى جزء من أوروبا الشرقية. فلا عجب إذن إن ينعكس تاريخ الامبراطورية العثمانية على الأحداث التي طبعت القارّة الأوروبية في التاريخ الحديث وأن يصبح جزءا لا يتجزّأ من تاريخها. ورغم محاولات طمس هذه العلاقة في الذاكرة الشعبية الأوروبية، إلا أنّ أعمالا أدبية مثل مسرحية الكاتب الشهير Molière، Le Bourgeois gentilhomme تقدّم شواهد عن هذه الحقبة التي كان فيها مبعوث السلطان العثماني يحظى بكامل التبجيل في بلاط لويس الرابع عشر وتثير فيها اسطنبول مشاعر الانبهار وكذلك الشعور بالخوف لدى العواصم الأوروبية مثل باريس ولندن وفيينا. أمّا اليوم، فقد اختفت مشاعر الانبهار وبقي الشعور بالخوف، خوف من نوع مختلف يتمثّل في إمكانية انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي وتبعات ذلك على الثقافة الأوروبية.

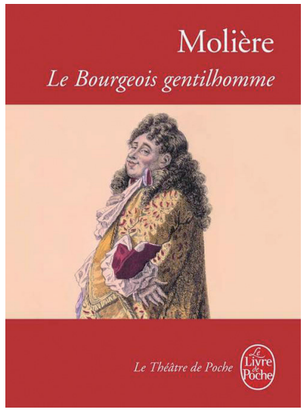

بعد الحرب العالمية الأولى، كاد الأتراك يختفون بعد أن تقاسمت القوى المنتصرة جلّ الأقاليم التابعة لهم بمقتضى معاهدة Sèvres المبرمة في 10 أوت 1920 والتي مكّنت كذلك الأقليّات الكردية والأرمينية وإن لوهلة قصيرة من التمتّع بالحكم الذاتي في مناطق تواجدها، في حين تقلّصت حدود تركيا لتشمل فحسب غرب الأناضول. إلا أنّ رفض الزعيم التركي مصطفى كمال لهذه المعاهدة وإعلان حرب التحرير ضدّ قوى الاحتلال اليونانية المدعومة من قبل بريطانيا العظمى أديا في النهاية إلى تحقيق النصر وإلى إلغاء نظام السلطنة وحلّ محلّ معاهدة Sèvres معاهدة جديدة بتاريخ 24 جويلية 1923 هي معاهدة Lausanne التي تضبط حدود تركيا وتثبتها تقريبا في تقسيمها الحالي. مصطفى كمال المكنّى بأتاتورك (أي أب الأتراك) أسّس الجمهورية في 29 أكتوبر 1923 ووضع حدّا لنظام الخلافة وللأمبراطوريّة العثمانية وكان ذلك منطلقا لإصلاحات عميقة أرادها مؤسّس الدولة التركية الحديثة قطعا مع الانتماء الثقافي والحضاري العثماني ومؤشّرا لتبنّي القيم الغربية.

فرض أتاتورك نظاما قوميّا، حداثيّا وعلمانيّا يحاكي أوروبا والغرب عامّة في قطيعة مع التراث الإسلامي وألغى بعد بضعة أشهر من تأسيس الجمهورية، المحاكم الإسلامية والمدارس الدينيّة ووزارة الشريعة واعتمد المشرّع التركي في 1926 القانون المدني السويسري ومنع تعدّد الزوجات وأعطى المرأة حقوقا مساوية لحقوق الرجل، واستلهم من التّشريع الإيطالي في عهد موسوليني لصياغة القانون الجنائي التركي وفي 1928 ألغى آتاتورك الإسلام كدين للدولة واعتمد الأبجديّة اللاتينية عوضا عن الأبجدية العربية وفي 1937 أدرجت العلمانية بالدستور التركي. كما منعت مظاهر تقليدية عديدة مثل لبس الطربوش واللباس الشرقي والرّقص الشرقي وتعدّدت مع مرور الزمن محاكاة المجتمعات الغربية.

هذا المنوال الغربي أو المستغرب سيتواصل بعد وفاة آتاتورك في 1938 وستجد تركيا مكانتها في النظام العالمي الذي أفرزته الحرب العالمية الثانية حيث سيندرج هذا البلد في منظومة الدول الغربية المشاركة في الحرب الباردة ضدّ الاتحاد السوفياتي وذلك بانضمامه إلى منظمة حلف شمال الأطلسي في 1952 إلى جانب عضويته في مجلس أوروبا (1949) ومنظمة التعاون والتنمية في أوروبا (1960) وإبرام معاهدة شراكة مع المجموعة الاقتصادية الأوروبية وانضوائه في صفّ اقتصاد السوق والتعدديّة الحزبية تحت المراقبة الدائمة للجيش التركي حارس النظام الأتاتوركي والمؤمّن عليه.

إلاّ أنّ نهاية الحرب الباردة وتسارع وتيرة العولمة وتجديد طلب تركيا في سنة 1987 للانضمام إلى المجموعة الاقتصادية الأوروبية سيكون لها وقعها على النظام الأتاتوركي المنغلق والسّلطوي. وسترتفع أصوات حول الهوية الحقيقية لتركيا وحول موقعها في المشهد الإقليمي والعالمي.

هذه التحوّلات والتفاعلات الثقافية وهواجس الهويّة أفضت إلى فوز حزب العدالة والتنمية ذي الأصول الإسلامية في الانتخابات التشريعية في 3 نوفمبر 2002 بنسبة 34 % ولم يغادره إلى الآن في ظاهرة تعتبر فريدة من نوعها في بلد اعتنق النظام العلماني وانحاز منذ إعلان الجمهورية إلى المعسكر الغربي.←

← الأوضاع المحيطة ببروز النظام التركي الجديد على الصعيدين الداخلي والخارجي

عاشت تركيا العشرية الأخيرة من القرن العشرين في أجواء يسودها الخوف والارتباك بالرّغم من أنّ بداياتها اقترنت بالأمل في الخروج من النظام السّلطوي الذي فرضه الانقلاب العسكري سنة 1980 فقد أفضت الانتخابات التشريعية في أكتوبر 1991 إلى إقصاء حزب تورغوت أوزال الليبرالي «الوطن الأم» وإقامة ائتلاف بين حزب الطريق القويم (يمين ليبرالي) بقيادة سليمان دميرال والحزب الشعبي الاشتراكي الديمقراطي برئاسة عصمت عينونو الابن. هذان الحزبان قاما على أنقاض حزبين عريقين ألغاهما الجنرال Kenan Evren إثر الانقلاب العسكري سنة 1980 وهما حزب العدالة (وسط يمين) وحزب الشعب الجمهوري (وسط يسار)، هذا الائتلاف على الطريقة الألمانية فتح حقبة جديدة من الائتلافات الحكومية امتدّت إلى انتخابات 2002 لكنّها لم تحقّق الاستقرار السياسي والإصلاح الاقتصادي المنشودين في تركيا.

خلال هذه الفترة وصلت الحرب مع حزب العمّال الكردستاني أوجها بين 1992 و1994، وتواترت الأزمات الاقتصادية في البلاد ورافقها تضخّم مرتفع جدّا. ومع تلاحق الائتلافات الحكومية تآكلت مصداقيّة الأحزاب الحكومية واضمحلّت ثقة المجتمع التركي في النظام السياسي ومؤسّساته وفي قدرته على تحقيق الأهداف الوطنية المنشودة. وكانت الأزمة الاقتصادية الكبرى التي عرفتها تركيا سنة 2001 محطّة فارقة طبعت تاريخ هذه العشرية. وقد شكّل وصول حزب العدالة والتنمية غير المتوقع إلى الحكم في أواخر السنة الموالية ردّة فعل قاسية من قبل الناخبين لمعاقبة الطبقة السياسية التقليدية وللتعبير عن رغبتهم الجامحة في الاستقرار وبناء الثقة من جديد.

كذلك تمّ اكتشاف وجود شبكة إجرامية خطيرة سنة 1996 في صلب جهاز الدولة تتمثّل في علاقات وطيدة بين مؤسّسات أمنية في الدولة واليمين المتطرّف (خاصّة الحركة القومية لما يسمّى «بالذئاب الرمادية») وأوساط ألمافيا التركية. هذه الشبكة تتعاطى أساليب قذرة في الحرب على التنظيم الكردي وتتزعّم تجارة المخدّرات وتهريب السلاح وابتزاز الأموال وقد طالت آثار هذه القضية شخصيات سياسية مثل Tansu Ciller وعددا من الوزراء والشخصيات ضمن المصالح الأمنية. كذلك أفضت اتّهامات بالفساد ضدّ مسعود يلماز رئيس الوزراء في الفترة من جوان 1997 إلى جانفي 1999 في إطار حكومة ائتلافية أخرى إلى استقالته في أجواء متوتّرة مماثلة ممّا كرّس مفهوم «الدولة العميقة» بداية من 1996 لوصف الأشخاص والمؤسّسات الذين يستحوذون على سلطة الدولة ويلجؤون إلى استعمال القوّة بما يتعدّى الحدود القانونية بغرض النفوذ وتعبئة الرأي العام ضدّ أعداء الساعة داخل البلاد. الاتّهامات بالفساد وتعدّد الفضائح المالية رغم محاولات التكتّم عليها بدافع التعبئة ضدّ «الإرهاب» أدّت إلى التعجيل بسقوط قيادات النخبة السياسية المتمثلة خاصّة في حزبي اليمين التركي الطريق القويم (Tansu Ciller) والوطن الأمّ (Mesut Yilmaz) وهو ما أحدث فراغا سياسيا كبيرا حيث ينتمي ثلثا الناخبين تقليديا إلى اليمين. هذا الفراغ سيملؤه جزئيا حزب الرفاه للسياسي الإسلامي نجم الدين أربكان (1926 - 2011).

ففي سنة 1995 فاز حزب «الرّفاه» بالانتخابات التشريعية بنسبة 21 % من أصوات الناخبين وشكّل حكومة ائتلافية مع Tansu Ciller زعيمة حزب اليمين الليبرالي «الطريق القويم». لكنّه لم يعمّر طويلا حيث تألّبت عليه القوى العلمانية بنخبها العسكرية والإدارية وكافّة مؤسّساتها وتمكنت من إصدار حكم بحلّه كما فعلت في 1971 و1980 حين تمكّنت من حلّ حزب النظام الوطني وحزب الخلاص الوطني اللذين أسّسهما أربكان وذلك بداعي القيام بأنشطة مناهضة للعلمانية.

في 28 فيفري 1997 أي بعد ثمانية أشهر من تشكيل الحكومة الائتلافية قرّر جنرالات الجيش بمعيّة الأعضاء المدنيين الآخرين الممثّلين في مجلس الأمن الوطني وبدعم من الرئيس سليمان دميرال، إجبار أربكان على التخلّي عن الحكم. هذا الانقلاب المخملي تلته حملات تسريح في صلب الإدارة وخاصّة في صفوف سلك التعليم وفي وسائل الإعلام وعمليّات تضييق ومقاطعة لمنتجات الشركات المموّلة من قبل رأس المال الإسلامي. وفي نفس الإطار حكم على رجب طيب أردوغان الفائز في الانتخابات المحلية بمدينة اسطنبول في 1994 بالسّجن لمدّة عشر شهور بدعوى التحريض على الكراهيّة بعد أن استشهد في خطاب للعموم بأبيات للشاعر التركي Ziya Gökalp مؤسس القومية التركية، ترجع إلى 1913 والتي يشبّه فيها المآذن بالحراب وقباب المساجد بالخوذات. وقد أدّى ذلك إلى إزاحة أردوغان من منصبه كرئيس أكبر بلدية في تركيا وحرمانه من الترشّح للانتخابات الموالية.

ومرّة أخرى تشيد الصحافة العلمانية بيقظة «القوى الحيّة» سليلة النظام الأتاتوركي وتستفزّ مشاعر الناخبين الإسلاميين بترديد تصريح رئيس أركان الجيوش التركية الذي وصف انقلاب 28 فيفري 1997 بأنّه «مسار سيدوم ألف سنة».

إلاّ أنّ هذه العملية الانقلابية سوف لن تؤثّر فحسب على المصداقية الديمقراطية للشقّ العلماني بل ستكشف كذلك عن الاختلافات داخل الحزب الإسلامي وهو ما سيؤسّس لمسار تحديثي داخل الحركة سيفضي إلى نشأة حزب العدالة والتنمية في 2001. ولا شكّ أنّ تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في تركيا خلال العشرية 1991 - 2002 قد زاد من استياء الناخبين ومن خيبة أملهم. فقد تشكّلت خلال هذه الفترة ستّ حكومات ائتلافية تداول عليها خمسة رؤساء حكومات بعضها لم يعمّر سوى بضعة أشهر وكانت آخر هذه الحكومات الائتلافية حكومة بولنت أجاويد الذي فاز حزبه «اليسار الديمقراطي» في انتخابات 1999 إلى جانب حزب الحركة القومية المتشدّد وحزب الوطن الأمّ. ورغم الإصلاحات التي أعلن عنها رئيس الحكومة لدعم الحريّات الأساسية والتنسيق التشريعي مع الاتحاد الأوروبي والمساعدات المالية لصندوق النقد الدولي وقبول الاتحاد الأوروبي فتح مفاوضات الانضمام مع تركيا، إلاّ أن انعدام الثقة في الحكومة بقي متواصلا. كذلك برزت خلافات عميقة داخل الائتلاف حول سياسة المزمع اتّباعها في المفاوضات حول القضية القبرصية وبخصوص العضوية في الاتحاد الأوروبي والمسألة الكردية. وقد أبدى الجيش التركي إلى جانب بعض النّخب العلمانية اعتراضه على التنازلات المطلوب تقديمها لفضّ النزاعات المتعلّقة بقبرص والأكراد والأرمن إضافة إلى اعتباره أنّ مسألة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي المعبّر عنه بـ«النادي المسيحي» هي محض سراب. وقد اقترح أحد المسؤولين العسكريين في مجلس الأمن الوطني أن تبحث تركيا عن تحالفات جديدة في اتّجاه روسيا وإيران لانزعاجها من الإصلاحات الديمقراطية التي فرضها الاتحاد على تركيا والتي يرى فيها العسكريون أداة لتحقيق أهداف معاهدة Sèvres.

هذه التناقضات السياسية والإيديولوجية، إضافة إلى مرض رئيس الحكومة أدّت إلى انهيار الائتلاف في صائفة 2002 وتقديم موعد الانتخابات التشريعية إلى نوفمبر من نفس السنة. على الصعيد الإقليمي والعالمي، أدّى انتهاء الحرب الباردة وتفكّك الاتحاد السوفياتي وبروز نظام عالمي أحادي القطبية إلى تقلّص الدور الاستراتيجي الذي كانت تلعبه تركيا إبّان الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي. وبعد أن كانت تركيا حجر الزاوية في منظومة الدفاع الغربي في منطقة شرق المتوسط وعضوا بارزا في منظمة الحلف الأطلسي يملك ثاني أقوى الجيوش في هذه المنظومة، أصبحت بزوال الخطر السوفياتي، عبئا سياسيا واستراتيجيا بحكم مشاكلها الداخلية المتمثّلة في عدم الاستقرار والنزاع مع الأكراد وقضايا حقوق الإنسان والهجرة والصراع مع اليونان حول جزيرة قبرص...

وسعيا منها إلى لعب دور جديد في المنظومة الغربية، بادرت تركيا بتقديم ترشّحها لعضوية المجموعة الأوروبية في نهاية الثمانينات ووظّفت موقعها الجغرافي كجسر بين أوروبا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى، إلاّ أنّ أوروبا برفضها لهذه العضوية سنة 1989 آثرت أن تبقى تركيا منطقة عازلة تفصلها عن مسارح مضطربة تحتدم فيها الصراعات السياسية والعرقية والدينية. رغم التحوّلات السياسية التي تلت هزيمة المعسكر الشرقي وانتشار القيم الكونيّة المبنيّة على حريّة التعبير والديمقراطية واحترام حقوق الانسان، بقي الجوار العربي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عصيّا على هذه الموجة الكاسحة وهو ما دفع ببعض المفكّرين والمتخصّصين في الشؤون العربية إلى الحديث عن «الاستثناء الإسلامي». تميّزت هذه الفترة بانكسار الإرادة العربية وبتقهقر القضية الفلسطينية وبفشل الدول العربية في مواكبة تيّار العولمة في مختلف تجليّاته وهو ما أفرز العنف السياسي والإرهاب والرّجوع إلى مربّع الطائفية والقبليّة.

الحدث الأبرز في بداية هذا القرن يتمثّل بلا شكّ في هجمات 11 سبتمبر 2001 الإرهابية ضدّ الولايات المتحدة الأمريكية وما تلاها من إعلان أمريكا الحرب على الإرهاب واحتلال أفغانستان والعراق وبروز نظريات المحافظين الجدد المتعلّقة بإعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة طبقا لمشروع الشرق الأوسط الجديد. وقد شمل المشروع الأمريكي تقسيما للأدوار في المنطقة يقضي بإقامة تحالفات جديدة مع الإسلام←

السياسي المعتدل القابل للقيم الكونيّة. ولعلّ النظام الجديد في تركيا أعدّ من ضمن الدعائم التي سيرتكز عليها المشروع الأمريكي.

حكم الإسلاميين أو المقاربة السياسية الجديدة في تركيا

في السنوات الأولى بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، تداولت الساحة السياسية سيناريوهات تطوّر النظام الجديد، وبرزت في هذا الإطار فرضيتان:

الفرضية الأولى: يروّج لها شـــقّ الإسلاميين الديمقراطيين الذين يرون في حزب العدالة والتنمية كيانا تحرّر من الرؤى الإسلاموية لمؤسّسيه ليصبح بذلك شبيها بالأحزاب المسيحية الديمقراطية في أوروبا ويعمل على تحقيـــق الاندماج في مؤسّسات الاتحاد الاوروبي وإقامة نظام سياسي مدني تمثيلي بعيد عـــن تدخّل المؤسّسة العسكرية الموروث عن آتاتورك.

الفرضية الثانية: مبنيـــة على ما يسمّـــى بـ«الأجندة الاســـلامية الخـفية» وتشير إلى أن وراء نافذة الخطاب المغري تشكّل الحكومة الجديـدة المرحلة الاولى في بـــرنامج تفكيك الدولة الكمالية والتي سوف لن تؤدّي إلى تطوير الديمقراطية بل على العكس من ذلك ستوصل إلى تطبيق الشريعة وإلى انشـــاء جمهورية إسلامية. مـــا نـــلاحظه اليوم هو أن المسار السياسي والإديولوجي التركي منذ 2002 اقتبس من الفرضيتين دون أن ينحاز إلى أيّ منهما ويمكن القول بأن سيناريو ثالثا هو بصدد التنفيذ ويتمثّل في رجوع تركيا إلى هويّتها الإسلامية مع التركيز بالتوازي مع ذلك على النزعة القومية والسلطوية التي ميّزت الزعماء الأتراك. هذا السيناريو الثالث الذي ذكـــره Jean Marcou في مـــقـــال بمجـلة: Moyen-Orient (إصدار جانفي -مارس 2018) تحت عنوان «Les Multiples visages de l'AKP au pouvoir». يستعرض 4 مراحل في تطور النظام السياسي الجديد:

المرحلة الأولى: مـــن 2002 إلى 2007 هـــي مرحلة مراقبة قد تكون أوهمت الملاحظين بأن السيناريو الأوّل المذكور أعلاه هو بصدد التنفيذ. خلال هذه الفترة (فترة الحكم الأولى) واصلت الحكومة الإصلاحات التي تمّ إقرارها من قبل الحكومة السابقة استعدادا لمفاوضات الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي التي بدأت بالفعل في 2005. كما نجحت الحكومة في الحفاظ على التوافق مع المؤسّسة العسكرية.

المرحلة الثانية: مـــن 2007 إلى 2011 هي مرحلة عودة الصراعات بين المعسكر العلماني والقيادات الإسلامية بمناسبة انتخاب رئيـــس الجمهورية الجديد في 2007 خلفا للرئيس أحمد نجدت سيزار المعروف بخطّه العلماني وبرئاسته السابقة للمحكمة الدستورية التي حلّت وألغت بانتظام أحزاب التيار الإسلامي التركي.

هذه الفترة تعتبر بداية حرب دون هوادة بين المعسكرين نجح خلالها حزب العدالة والتنمية في تحقيق نسبة عالية في الانتخابات التشريعية سمحت له بانتخاب رئيس للجمهورية من صف الحزب هو عبد الله غول قبل إفشال مساعي المؤسّسة القضائية الهادفة إلى حلّ حزب العدالة والتنمية بداعي معاداة العلمانية وذلك بالتعاون مع القضاة التابعين لمؤسسة فتح الله غولن النقشبندية الحليفة (تعاون أردوغان مع الطرق الدينية المتغلغلة في المجتمع التركي رغم منعها قانونيا من قبل آتاتورك). هذه المرحلة شهدت كذلك محاكمات كبرى (Ergenekon,Balyoz) لكسر النفوذ السياسي للمؤسّسة العسكرية. وتعتبر سنة 2011 منعرجا في مسار حزب العدالة والتنمية إذ عمد النظام لأول مرة في ربيع هذه السنة إلى الحدّ من حرية التعبير بإيقافه لصحفيين معروفين في مجال الاستقصاء. كذلك ظهرت أوّل تصدّعات في العلاقة بين الحكومة وحركة غولن بعد إبعاد أحد القضاة الموالين لهذه الجماعة. وفي صائفة نفس السنة ترأس أردوغان بمفرده المجلس العسكري الأعلى دون مشاركة الجيش وهو ما خوّل له ولأول مرّة تعيين الهيئات القيادية في المؤسّسة العسكرية: في نهاية هذه المرحلة نرى أنّ حزبا تطوّر ونما في المناطق المهمّشة في تركيا بدأ يسيطر على مراكز السلطة في الدولة. هذا التطوّر سيتأكّد ويتدعّم في:

المرحلة الثالثة التي تمتدّ مـــن 2011 إلى 2014 وهي مرحلة الاستقطاب التي تتعدّى الهيئات السياسية لتشمل المجتمع برمّته. هناك تغييرات كثيرة قامت بها الحكومة في ظلّ الانتصارات الانتخابية والسيطرة على مفاصل الدولة من ضمنها المشاريع الكبرى في مجال البناء من جسور وطرقات وسكك حديد واتفاق وكذلك إحياء التراث العثماني وضغوط مجتمعية نابعة عن ما أسماه البعض بالثورة الثقافية الجديدة التي تهدف إلى أسلمة المجتمع والدولة. هذه التغييرات أدّت إلى احتجاجات حديقة Gezi باسطنبول في ماي – جوان 2013 والى قمعها باستعمال القوّة المفرطة ضدّ المتظاهرين الذين رفضوا استعمال هذا الفضاء لأغراض إيديولوجية (ترميم ثكنة عسكرية عثمانية وغلق مركز آتاتورك للثقافة...)

هذا التطوّر كان من ضمن الأحداث التي وضعت حدّا لأسطورة «المثال التركي» التي ظهرت إبّان ثورات ما يسمّى بالربيع العربي.

المرحلة الرابعة والأخيرة: تتمثّل في تصلّب النظام وقد أدّت انطلاقا من 2014 إلى شخصنة السلطة حيث عدّل الدستور وأصبح أردوغان في أوت 2014 رئيسا للجمهورية بالاقتراع العام. كذلك ستنتقل تركيا من نظام برلماني إلى نظام رئاسي قوي يجمع فيه الرئيس بين رئاسة الدولة ورئاسة الحزب ويلغي فيه منصب رئيس الحكومة.

هذا التحوّل غذّاه وضع غير مستقرّ في الداخل وفي الجوار المباشر حيث استأنف التمرّد الكردي نشاطه وقامت داعش بعدّة تفجيرات في المدن التركية وقام معارضو أردوغان بمحاولة انقلاب عسكري في 15 جويلية 2016 استغلّها الزعيم التركي لتوجيه الضربة القاضية لخصومه في شكل حملة قمع وتطهير لم تشهدها تركيا من قبل.

السفير م.ل
رئيس المنتدى الدبلوماسي

حاضرة الفاتيكان والإعلام الديني

• بقلم د. عز الدّين عناية

اتخذت الكنيسة الكاثوليكية استراتيجيات إعلامية متنوّعة اختلفت باختلاف المواسم، وفي الراهن الحالي الذي يقضّ مضجع اللاهوتيين، ما عاد الإعلام الكنسي أساسه القول القائل: إنّ قوّة الحقيقة كفيل بعرضها، بل بات الأمر يتطلّب مهنية وخبرة ودُربة. عُدّت الكنيسة في عصرنا شريكا إعلاميا بارزا في الأوساط الغربية بشكل عام، وفي الساحة الإيطالية بشكل خاصّ، حيث تعدّدت الوسائط الإعلامية ذات المنحى الكاثوليكي بغرض ترويج مراد الكنيسة الديني والثقافي، وكذلك موقفها السياسي أيضا من عديد القضايا الساخنة. وقد تولدت الحاجة الماسّة إلى هذا الحضور في أعقاب تقلّص الحضور الفعلي للكنيسة في الواقع، حيث باتت «الكنائس خالية والساحات عامرة»، على حدّ التعبير الشائع، الأمر الذي دعاها إلى تكثيف حضورها في عدة مجالات إعلامية وافتراضية منها، في محاولة لاستغلال القدرات التي يتيحها الإعلام البديل، كلّ ذلك لفائدة ترويج رسالة الكنيسة التي باتت تعتمد سياسة «التبشير بالإنجيل في عالم متغيّر».←

من الوثائق التأسيسية التي صدرت عن مجمع الفاتيكان الثاني (1962 - 1965)، والتي أولَت الشأن الإعلامي اهتماما قرار «Inter mirifica» المتعلّق بوسائل الاتصال الاجتماعي والمصادَق عليه في ديسمبر 1963، فكان من أبرز القرارات التي حثّت الكنيسة على ألاّ تبقى خارج التوظيف والاستغلال للشأن الإعلامي. ورد في نصّ القرار: «تقرّ الكنيسة أنّ الاستغلال المُحْكم لهذه الوسائل يمنح مغانم جمّة، لأنّها تسهم بشكل فعّال في تسامي الروح وإغنائها، فضلا عن دعم مملكة الربّ. لكنها تدرك أيضا أن الإنسان يمكن أن يوظّف تلك الوسائل لهلاكه وضدّ مراد الخالق...كما تؤمن الكنيسة بواجبها في استغلال وسائل الاتصال للتبشير بالخلاص وتعليم البشر الاستعمال الصائب لهذه الوسائل». وقد تدعّم ذلك بالعديد من الرسائل البابوية لعلّ من أهمّها رسالة البابا بولس السادس بشأن الإعلام المسمّاة بـ«إيفنجلي نونتياندي»، مبيّنا من خلالها أنّ الكنيسة «تشعر أنّها مذنبة أمام ربها إن لم توظّف هذه الأدوات لفائدة الأنْجَلة».

وفي ضوء ذلك الحرص على الحضور في المجال الإعلامي، يمكن تقسيم وسائل الإعلام الكاثوليكية إلى ثلاثة أصناف رئيسة:

الإعلام المكتوب

الذي تحوز فيه الكنيسة الكاثوليكية مجموعة من الصحف والمجلات، ذات الانتشار الواسع، والتي لا يقتصر قرّاءها على رجال الدين والمتديّنين، بل تتوجّه إلى عامّة الناس وتغطّي حاجات شرائح متنوّعة داخل إيطاليا وخارجها. لعلّ أبرز تلك العناوين في الصحافة المكتوبة:

صحيفة «لوسّرْفاتوري رومـــانـــو» -المراقب الروماني- وهي صحيفة يومية، تعدّ اللسان الرسمي لحاضرة الفاتيكان، احتفلت أخيرا بمرور قرن ونصف القرن على تأسيسها. ويتميّز محتـــوى الصحيفـــة بالتحـــاليل المعمَّقة للأحداث بناء على وجهة النظر الكاثوليكية، كما تضمّ إلى طاقمها مجموعة من الصحفيين والكتّاب من خارج الأوساط الدينية، ممن يسمّون بالعلمانيين والموالين لخطّ الكنيسة. تليها في المتابعة والاهتمام صحيفة «أَفِنيري» -المستقبل- التي بُعثت مع انعقاد مجمع الفاتيكان الثاني (1968)، وهي صحيفة يومية ناطقة باسم المؤتمر الأسقفي الإيطالي، الذّراع النافذة لحاضرة الفاتيكان داخل الأوساط الإيطالية، بما أنّ المؤتمر تتركّز مهامه بالأساس على رصـــد المســـارات الدينية والاجتماعية والسياسية داخل إيطاليا، وتـــداوُلها ومُراجعتها مـــع كبار الكـــرادلة والأســـاقفة في دولة الفاتيكان. ومن جانب آخر تبقى المجلة الأسبوعية «فاميليـــا كريستيـــانا» - الأســـرة المسيحية - أكثر المجلات الأسبوعية توزيعا في إيطاليا، وهي مجلة عقائدية تربوية، فضلا عن اهتماماتها الاجتماعية والسيـــاسية من زاوية نظر كاثوليكية، وهي المجلة الأكثر تأثيرا في الطبقات الشعبية. تعضدها كوكبة من المجـــلات الدينية مثـــل: المجلة←

L'OSSERVATORE ROMANO
GIORNALE QUOTIDIANO POLITICO RELIGIOSO
Unicuique suum Non praevalebunt
Non cedere alla tentazione dell'odio
Strage mediterranea
Guerra totale ad Aleppo
Spalla a spalla
NOTTE INFORMAZIONI

البنك التونسي
BANQUE DE TUNISIE

L'innovation Digitale de la Banque de Tunisie : BT Bourse

Où que vous soyez et à tout moment, gérez en ligne votre portefeuille titres en toute sécurité via BT NET

A travers son service de banque à distance **BT-NET**, profitez désormais de la plateforme de **transmission des ordres** de Bourse en ligne de la Banque de Tunisie.
Sa filiale intermédiaire en bourse, **SBT**, se charge de l'exécution

Cette plateforme vous permettra :

- Une transmission éléctronique de vos ordres en bourse en toute sécurité 24/24 et 7j/7
- Une gestion autonome de votre portefeuille en valeurs mobilières
- Un suivi en temps réel des cours boursiers
- Une valorisation en temps réel de votre portefeuille titres

www.bt.com.tn

الشهريــة «30 جورني» -ثلاثون يوما- التي أسّسها السياسي الراحل جوليو أندريوتي، وتوزّع بخمس لغات؛ كذلك مجلة «يسوع» ومجلة «فيفيري» -حياة- الشهرية، ومجلة «غازيتا دالبا» الأسبوعية. تعضد تلك العنــاوين شبكة نشيطة من دور النشر الكاثوليكية، لعلّ أشهرها «مكتبة النشر الفاتيكانية»، و«ســان باولو»، و«جاكا بوك»، و«دار التبشير الإيطالية».

الإعلام التلفزي والإذاعي

يتمحور بالأساس حــول «مركز تلفزيون الفاتيكان» الذي انطلق عمله سنة 1983، وهو حدّ الساعة لا يحوي في جنباته قناة بثّ بل هو عبارة عن مركز إنتاج وتوزيع؛ لكن يبقى، على المستوى المحلي، وجود عديد المحطات التلفزية الكاثوليكية. بعث «المؤتمر الأسقفي الإيطالي» تليفزيون TV2000- الذي انطلق بثّه في مرحلة أولى عبر القمر الصناعي ثمّ توسّع في مرحلة لاحقة عبر بثّ أرضي. ذلك في المجال التلفزي، أمّا في مجال البثّ الإذاعي، فيبقى «راديو الفاتيكان»، الذي تأسّس في فيفري من العام 1931، الأبرز في الساحة المحلية والدولية، وهي محطّة تتناول القضايا السياسية والاجتماعية من منظور الكنيسة. المحطّة ناطقة بلغات عدّة منها العربية. ونظرا لطبيعة التقسيم الإداري الكنسي للتراب الإيطالي إلى أبرشيات، بما يضاهي مقاطعات الدولة الإيطالية، فليست هناك أبرشية تخلو من محطّة بثّ إذاعي خاصّة بها. وضمن هذه الشبكة الواسعة من البثّ الإذاعي يمثّل «راديو ماريا» -راديو مريم- ظاهرة إعلامية مسيحية على حدة. حيث انطلقت هذه المحطّة في البــداية كراديو خاصّ بخورنية محدّدة في منطقة ألتا بريانزا في شمال إيطاليا لتتطوّر وتصبح محطّة بثّ عالمي، تولّدت عنها العديد من المحطّات المحلية، بلغ عددها حتّى الراهن خمسين محطّة، منتشرة في شتّى أنحاء العالم لتُشكّل ما يعرف بـ«الأسرة العالمية لراديو مريم»، وآخرها إنشاءً كان راديو ماريا في البوسنة، وراديو ماريا في غينيا الجديدة، وراديو ماريا في سويسرا. وهي إذاعات في العموم ذات منحى أصولي، أثارت العديد من القلاقل نظرا لخطابها المنغلق والمتشدّد.

الإعلام الإلكتروني

تبقــى ســنــوات الثمانينيات فترة التحوّل العميق في استراتيجيا الإعلام في الكنيسة وقد عُدّ البابا يوحنا بولس الثاني رمز هذا التحوّل، من خلال الإصرار على إحضاره وسط الضجة الإعلامية بشكل دائم ومتتابع. ولا شكّ أنّ مؤسّسة الكنيسة الكاثوليكية في روما، في مساعيها لتجديد دورها وتطويره في الساحة الإعلامية، تستند إلى خبرة عريقة في العمل الإعلامي، مــا عــادت تقنع فيها بالوسائل التقليدية. ومن هذا الباب برز اهتمام حاضرة الفاتيكان بالإعلام البديل بعد تعيين كلاوديو ماريا شالي مكلّفا بالمجلس البابوي للإعلام الاجتماعي. ويُعدّ الموقع الرســمــي للكرسي الرســولي (www.vatican.va) أبرز المواقع الكاثوليكية على مستوى عالمي. فالموقع يقدّم خدماته بعشر لغات ويرتاد صفحاته خمسون مليون زائر شهريا. وربّما الميزة البارزة لهذا الموقــع وهــو الطابع التوثيقي لكل مــا يتعلّق بالشّأن الفاتيكاني، لذلك بات مرجعــا للعــديد من الكتّاب والصحافيين والبــاحثين المهتــمين بالشأن الديني الكاثوليكي. لكن أمام تزايد الحاجة إلى الإعلام المواكب للأحداث المتتالية والأخبار المتسارعة، تقرّر منذ فترة وجيزة بعث موقع «نيوز.فا» بخمس لغات، وهو موقع إخباري بالأساس، تعبّــر من خلاله حاضرة الفاتيكان عن سياستها الخاصّة تجاه القضايا المحلية والدولية. مازال الموقع يشقّ طريقه من حيث التطوّر والمهنية.

ولكن أمام تعدّد المواقع، التي تعرّف نفسها أنّها كاثوليكية، تخشى كنيسة روما فقدان احتكار المعلومة الدينية بالأساس، وهــو ما مارسته طيلة عهود. فهناك مزاحمة في هرمنوطيقيا النصوص ومزاحمة في ترويج المعلومة، ما يهدّد بانفراط احتكار المعنى الديني. كــما تخشى الكنيسة مــن الإعلام المناهض بشكل مبــاشر، وهو مــا تجلّى بالخصوص في استغلال قضايا مثل قضية راتسبونا والعالم الإسلامي، وقضيّة وليامسون اللوفابري ونفيه للمحرقة اليهوديــة، أو استغلال مسائل الفضائح الجنسية بين رجال الدين.

بالفعل هزّت الكنيســة الكــاثوليكية ثورة إعلامية حقيقية، حيــث جــرت العــادة في السابق بالسّماح للأعلى رتبة في الأبرشية أو الخورنية بحقّ مراقبة مراسلات الكهنة، ولكن مع الثورة الإعــلامية تقلّــص ذلك الامتياز، فكيف تُراقَب الإرساليات القصيرة والسكايــب والبريــد الإلكتروني والدردشة وغيرها؟ أمام ذلك التحدّي تسعى الكنيسة جاهدة لإقرار ما يشبه الوفاق الخلقي بين العاملين في الحقل الديني علّها تحدّ من المنافسة القويّة والمناهضة، في بعض الأحيان، وعلّها تعوّض عن تلك الرّقابة المفتقدة.

ع.ع.

مصطفى الفارسي
رجل الثقافة الشاملة

جمعتني بمصطفى الفارسي (1931 - 2008) وشائج الصحبة والعمل المشترك، في حقول هامّة من الثقافة التونسيّة، منذ مطلع استقلال البلاد.عرفته، في سنة 1958 وهو في أوّل شبابه، لا يزال يتلمّسُ آفاق مستقبله. وهي فترة هامّة، بالنسبة إلى قادم نشاطه الفكري والأدبي. ←

• بقلم الشاذلي القليبي

عرفتُ مصطفى الفارسي، وهو شاب، ينتفض حركة، واثقا من نفسه ثقة الشباب بالمستقبل، حادّ الفكر، غزير الحديث، دون هذر. كان لقاؤنا الأوّل، وأنا مكلّف بإدارة الإذاعة. وكنتُ أبحث عن مواهب شابّة، لتحريك الإذاعة، وبعث الحيويّة فيها. وفهمتُ، من أوّل لقاء بيننا، أنّه سيكون له شأن في ذلك. وكان أحد ثلّة من الشبّان، لم يجدوا بعد مستقرّا لهُم في البرامج التي عليها مسار العمل، إذاك، في مؤسّسة الإذاعة. وكان من بينهم شابّ، في وجهه احمرار الحيويّة، يتكلّم بقوّة واندفاع، يفهم «على الرمش» ما يُراد وما يُقصد : وهو التيجاني زليلة، الذي اضطلع بدور مركزي في تجديد البرامج، وبعث نَفَس جديد في الإذاعة.وكان إلى جانبه، في تلك الحقبة، شابّ أسمر الوجه، رصين الكلام، قويّ الاجتهاد والانضباط :حسن العكروت. ثمّ كان معهما، رجُل الاتّصال، وتوثيق العلاقات مع فئة من المساهمين من الخارج، عبدالعزيز عشيش، الذي كان يجمع بين الخبرة والرأي – وافاه الأجل في عزّ معركة التجديد لروحيّة الإذاعة. خلّف ذكرا طيّبا، ومشاريع هامّة، رحمه الله.

وكان الفارسي من بين هؤلاء.عرفتُ فيه خصالا تُؤهّله للقيام بالعلاقات الخارجيّة. وكان لها شأن، إذاك، إذ كُنّا مُقْدمين على فترة تجديد، الحاجة فيها أكيدة إلى مَعُونات خارجيّة ؛ إذ كانت معركة تَوْنسة الأجهزة لم تنته بعد : فداخلَ الإذاعة، كان القسم الفرنسي لا يزال تحت إدارة فرنسيّة ؛ وكان أيضا قسم التقنيات يُديره طاقم من المهندسين الفرنسيّين، يعتبرون أنفسهم تابعين للسلطة الفرنسيّة. وكانت الإدارة التونسيّة في أخذ وردّ، في شأنهم، مع الجانب الفرنسي، بباريس. وكان مصطفى الفارسي، الذي جعلتُه رئيس مصلحة العلاقات الخارجيّة، عضدي الأيمن في كلّ الاتّصالات مع الجهات الفرنسيّة.وتمكنّا، في آخر المطاف، من تونسة القسم التقني، وجعلنا على رأسه المهندس المنجي الشافعي، بمساعدة أحمد رجب. وكذلك ألحقنا بالإدارة التونسيّة قسمَ البرامج الفرنسيّة، وجعلنا عليه أستاذة فرنسيّة، زوجة طبيب تونسي، جوزات بن ابراهم – كان لها بعد ذلك ألَق في الصحافة الباريسيّة، تحت لقب مستعار Josette Alya.

ومن مقاصدنا، إذاك، أن تكون الإذاعة التونسيّة حاضرة في الساحة الدُوليّة. وكان ذلك يحتاج إلى تحرّك، وإلى اتّصالات خارجيّة، لإقناع الذين بيدهم الأمر، في اتحاد الإذاعات الأوروبية. ومصطفى كان له باع في ذلك، وجهود كُلّلت بالنجاح. ثمّ فكّرنا في إنشاء منظّمة خاصّة بإفريقيا. وكان ذلك يحتاج إلى نضال، قامت به تونس بالتنسيق مع المملكة المغربية. ونشأت علاقة حميمة بين الإذاعتين التونسيّة والمغربيّة، خاصّة في عهد مديرها المهدي المنجرة : مغربي، نشأ بأمريكا، ويتكلّم اللغة الأمريكيّة كأهلها. وكان من الحزب التقدّمي في المغرب. انتقل بعد ذلك إلى التعليم الجامعي، وأصبح له ذكر بين المفكّرين التقدّميّين.وأنشأنا علاقة متميّزة مع دولة غينيا التي كانت أصرّت على استقلالها عن فرنسا. وكان مدير إذاعتها شقيق الرئيس الغيني. فكان لعبد الله سيكوتوري، دور بارز أيضا في إنشاء اتحاد الإذاعات الإفريقية.مع المغرب ومع غينيا – وبتعاون ودّي مع فرنسا كذلك – كان دور مصطفى الفارسي دورا مركزيّا، في توثيق العلاقات، ومتابعة القضايا، والإعداد للاجتماعات التي تعقدها المنظمة الأوروبية، باعتبارها صاحبة النفوذ في توزيع الذبذبات وتنظيم العلاقات الإقليميّة، في هذا المجال.

هذه مرحلة مصطفى الفارسي الأولى وإسهامُه في إعادة تنظيم الإذاعة المستقلّة. المرحلة الثانية ستكون له من خلال الإسهام في إقامة ركن من أركان الوزارة الجديدة التي سُمّيت بالشؤون الثقافيّة.وقد أُسنَدتْ إليه إدارة المسرح، وكان من أهمّ أركان العمل الثقافي. فكانت له فيها تجربة بعيدةُ الأثر في مستقبل إنتاجه الأدبي، إذ جعلته يضطلع بمسؤوليّة تشمل القطر بأسره، ويطّلع على القضايا الرئيسيّة التي تهمّ المسرح، أدبًا، وفنًّا، وأداةً اجتماعيّة ذات دور قويّ الأثر في توعية المجتمع، وتثقيفه، والنهوض بطاقاته ثمّ كانت المرحلة الثالثة التي سيكون فيها مصطفى الفارسي مُشرفا على رُكن من أهمّ أركان النهضة الثقافيّة : وهو السينما فقد أسنَدتْ إليه إدارة الشركة المضطلعة بالإنتاج السينمائي : SATPEC وساهم إسهامًا مرموقًا في توسيع عملها، وإنشاء الصَداقات لها في الخارج، خاصّة في البلاد الاشتراكيّة التي كانت متحمّسة لمساعدة تونس.

بذلك استكمل مصطفى الفارسي إحاطته بدعائم الثقافة الحديثة من إذاعة ومسرح وسينما، إضافة إلى قضايا المِلكيّة الأدبيّة، إذ كان له إسهام في وضع القانون التونسي المنظّم لحقوق التأليف والتلحين، منذ مرحلته بالإذاعة الوطنيّة. فكان رجُلَ الثقافة الشاملة : شارك في تنظيمها، إداريًّا، وساهم في إثرائها، بإنتاجه الشخصي.

م.ف.

في مئـــويّـــة حسيبـــة رشـــدي
الـفـنّـانـــة المتمـــرّدة

لماذا كُتب على الفنّان أن يقايض حرّيته مقابلَ الانسلاخ عن وسطه وأهله وأحيانا أقرب الأشخاص إلى قلبه ليسمح لفنّه بأن يينع ويتفتّق؟ لماذا كتب عليه أن يهرب من محيطه ويغامر بحثا عن محيط جديد لا يقيّد مواهبه بجملة من الأعراف والتّقاليد المسطرة والمقنّنة والحادّة حدّة السّيف؟

هذا فيما يخصّ الإنسان عامّة. بشأن المرأة، تدخل في الاعتبار مقاييس أخرى وأعراف أخرى أوّلها وآخرها الشّرف..شرف القبيلة الذي لم يتأثّر بالقيم المستجدّة للحداثة ولا بالنّقلة التي عرفتها النّظرة الاجتماعيّة للفنّ وللإبداع.←

• بقلم فوزية بلحاج المزّي

راودني السّـــؤال وأنا أعدّ هذه الورقة حـــول حسيبة رشـــدي، استذكارا لمسيرة فنّـــانـــة اتخـــذت لها جناحـــين حـــاولت أن تحلق بهمـــا بعيـــدا عـــن العوائق والممنوعات المشحنة بالأوهـــام والزّيف. جوّ نشأتها مثقل بأوزان التّراث الذّكوري فهي ولدت من الزّواج الثّامن لأبيها الذي ينتمي إلى عائلة بـــن عبد النّبي. كان ذلك ذات شتاء في سنة 1918. سمّيت الزّهراء وكتب لها مسار شاقّ تعمّقـــت محطّاته بقوّة شخصيّتها وبمثابرتهاعلى تحقيق ذاتها بقناعة لا تبعد في عمقها عمّا نعاينه اليوم في مشهد النّضالات النّسويّة، مع فارق أعتبره هامّا وهو الهدوء والتّواضع. في مثل هذه العائلات، وفي الأوساط الفلاحيّة الميسورة، وفي منطقة جومين بماطر، جـــرت العادة أن ترتّبي البنت على «صنعة» تحافظ عليها وتجعل معنى لمركزها الاجتماعي. ولنتخيّل كيف كانت، وهي تتعلّم التّطريز والخياطة، تستمع إلى الموسيقى والغناء، فالمؤرّخون يذكرون أنّها أغرمت بالمغنّيات اليهوديّات. ويذكر المؤرّخون أيضا أنّها هربت من بيت أبيها إلى بنزرت، بعد خلاف مع والدها حول حادثة تذكر فيها آلة الفونوغراف. ممّا يفترض أنّ شغفها بالموسيقى كان سبب ريبة لدى والدها، الذي قد يكون حاول حرمانها من استعمال هذه الآلة.

أين نحن هنا من مشهد أسراب الأطفال والشّبّان ذكورا وإناثا يتوافدون على معاهد الموسيقى العموميّة والخاصّة، كلّ آلته على كتفه ومن بينهم من يكبر ويصبح فنّانا محترفا عازفا أو مغنّيا وأحيانا أخرى، يجمع بين ذلك والبحث الأكاديمـــي في الموسيقى... ولا أحد يضطرّ إلى مفارقة عائلته ومحيطه أو التّخفّي منهما لممارسة هوايته والتّفاعل مع شغفه بها؟

ويُذكر أيضا عن حسيبة رشدي أنّها، إثر هربها، أرجعت قسرا إلى بيت أبيها وزُوّجت غصبا ثمّ عـــاودت الهـــرب، إلى صفاقس هذه المرّة، لتستقرّ فيها وتمارس المسرح ثمّ الموسيقى وتتعرّف على محمّد التريكي الذي سيتزوّجها ويعرّف بها في باريس حيـــث قامت بتسجيل أولى أسطواناتها.

وفي مرحلة أخرى وبعد زواجها الثّاني من الأمريكي هنري بـــلاك، مـــساعد القنصل الأمريـــكي في تـــونس، رحلت إلى بروكلين حيث قضت بعض السّنين فتحت خلالها مطعما ثمّ غادرت إلى القاهرة، بطلب من الحزب الدّستوري، لتسليم وثائق للمرحوم الحبيب ثامر الذي كان لاجئا هناك. مسار عاشته حسيبة رشدي في ظرف مضن، لم تكن فيه مظاهرات مساندة ولا اعتصامات ولا احتجاجات ولا تقارير حول الحرّيّات. الحرّيّة اقتلعتها في تجربة مفردة، علـــى مقـــاسها، قادتها إلى أقاصي العالم وواجهت فيها المجهول ثقافةً وعقيدةً وسياسةً وأعرافا..في القاهرة، استقبلها الملك فاروق وأقامت منتدى دعت فيه عددا كبيرا من الفنّانين من بينهم السّيّد شطّا الذي قدّمها إلى مدير إذاعة القاهرة. وفي اختبار أمام لجنة تتصدّرها أمّ كلثوم، خُصّص لها حفل أسبوعيّ في إذاعة القاهرة، كما غنّت في حفلات أمـــام الجمهور رفقـــة محمّـــد عبد المطّلب.

وفي القاهرة أيضا، لعبت أدوار البطولة في أفلام مثل : «حبّ» لعبد العزيز حسين إلى جانب الممثلين محسن سرحان وفريد شوقي وسميحـــة أيّوب و«طريق الشّوك» لحسين صدقي إلى جانب فريد شوقي و«دماء في الصّحراء» لجياني فرنوتشيو مع عماد حمدي و«انتقام الحبيب» لفرنوتشيو أيضا مع يحيى شاهين و سامية جمال وفريد شوقي. لكنّ هذه المسيرة المشعّة لم تطل فيبدو أنّ أمّ كلثوم وبدعم من نقابة السّينما المصريّة فرضت عليها الرّحيل من مصر.

عند رجوعها إلى تونس في بداية الخمسينات، شاركت في أفـــلام عديـــدة : «المتمرّد» و«صراخ» لعمار الخليفـــي، «تحت مطر الخريف» لأحمد الخشين، «خليفة الأقرع» لحمّودة بن حليمة إلى جانب منـــى نور الدّين، «سلطان المدينة» للمنصف ذويب، «تونسيّات» للنّوري بوزيد، «جحا» لجاك باراتيي إلى جـــانب عمر الشّريف وكلوديا كاردينال. شخوص الملحمة التي أبـــدعتها حسيبة رشدي ليسوا أبطالا عاديّين. جمعهم بها تـــوارد الخواطر وتشابه في الاختيارات. جمعتهم أيضا ضرورة التّحدّيات المتجدّدة في كلّ مفترق طرق يرتادونها.

ولعلّ أهمّ ما يمكن أن نلفت إليه النظر في هذه الملحمة التي خلّفت ذكرها بعد رحيلها في سنة 2012، هو مـــوعظة المنهاج وليس الأنموذج. فقد اعتمد هذا المنهاج في النّضال من أجل تحقيق الحلم الإبداعي فنّانون كثيرون، نساء ورجالا، بالموازاة مع مسيرتها وبعدها أيضا : شافية رشدي، فضيلة خيتمي وقبلهما حبيبة مسيكة وفي صفوف الفنّانين جيل كامـــل في طليعته محمّد الجمّوسي. في أوائل القرن العشرين، والملحمة تعتمل أحداثها وتترصّدها تهم الأخلاق والأعراف وأحيانا تهمّ العقائد، لم يكن هناك متعهّدو حفلات ولم تكـــن مهـــرجانـــات ولم تكن الملتيميديا ولا الفايسبوك ولا ذمـــم إعلاميّة تشترى لخلق النّجوم ولا «ستار سيستام».

كانت كلمة تخـــرج مـــن العمـــق، تشقّ السّحاب وتمطر سكينةً وعشقا يذوب فيها المتلقّي ويُولد فيها شوق الجمهور إلى المزيد من المغنى والمعنى. إنّه عمـــر البراءة، براءة الإبداع، بلا قيد، بلا شـــرط، بلا وسيط وبلا حدود.■

ف.ب.م

عالم حنا مينة الروائي

برحيل الكاتب السوري الكبير حنا مينة عن سن تناهز أربعة وتسعين عاما فقد الأدب العربي أحد أبرز وجوه الرواية في القرن العشرين، فهو كاتب ينتمي إلى مرحلة التحولات الاجتماعية والثقافية الصعبة في الوطن العربي، عاصر المخاضات السياسية الكبرى التي عاشتها المنطقة بدءا من حروبِ التحرير وصولا إلى الثورات المغدورة والربيع الدامي، ونحت تجربته من التفاعل الخلاق بين الإيديولوجيا والحياة، فكانت أعماله في الأدب الواقعي نضالا عميقا من أجل عدالة اجتماعية يرى أنها حلم الإنسانية كلها لا حلم أجيال قليلة فقط، وسافرت رواياته من اللاذقية إلى العالم محققة تلك المعادلة السحرية بين المحليةِ الضّيقة والكونية الرحبة، وعبر هذه الأعمال يتأسّس عالم حنا مينة الروائي ويمتاز بتجذّره في الواقع الاجتماعي من جهة وقدرته من جهة أخرى على الخلق والتخييل حتّى ليظن القارئ أن أبطال هذه الرواية أو تلك أشخاص موجودون في الواقع.←

• بقلم عامر بوعزّة

خارج

المدوّنة النصيّة تعتبر شخصية حنا مينة الإنسان أحد أهمّ العناصر المكوّنة لظاهرة «حنا مينة الكاتب»، فهو ينتمي إلى طائفة من الأدباء تلعب تفاصيل حياتهم دورا أساسيا في ذيوع أدبهم وتتحوّل سيرتهم الأولى في مرحلة ما قبل الكتابة إلى نوع من الخرافة أو الأسطورة، على غرار قصّة جان جينيه (1910 - 1986) مع اليتم والفقر واللصوصية والتشرّد كما وردت في كتاباته عن الذات أو في حواراته←

QNB First ...
Voyez plus grand.

QNB

Appelez le 36 00 40 00 ou visitez qnb.com.tn

الصحفية ثمّ تطوّرت لتصبح مادّة تأمّل وجودي لدى سارتر في كتابه (القديس جينيه، الممثل والشهيد)، وقصة الكاتب المغربي محمد شكري (1935 - 2003) مع الفقر والأميّة ومسيرة تدرّجه من عالم هامشي مقموع إلى مصاف الكتاب والأدباء الكبار، وهذه القصص المليئة بالإثارة الخارجة عن المألوف تقوم كلّها على عنصر جوهري هو تحدّي النظام الاجتماعي وإرغامه على قبول ما يختلف عنه، وتصبح قصة الصراع هذه رافعة تجارية مهمّة للنص قبل الخوض فيما يميّزه من داخل البنية الأدبية ذاتها، وفي تجربة حنا مينة نعثر على سيرة مختصرة مبهمة تتكرّر في كلّ المصادر بنفس الصيغة وتقول إنّ الكاتب عاش طفولته في إحدى قرى لواء الإسكندرون على الساحل السوري، ثمّ عاد مع عائلته إلى مدينة اللاذقية، وأنّه كافح كثيراً في بداية حياته، واشتغل في مهن مختلفة، فعمل حلاّقًا وحمّالًا في الميناء وعمل مصلّحَ درّاجات ومربّي أطفال في بيت سيّد غنيّ وعاملا في صيدلية، ثمّ تدرّج في المرتبة الاجتماعية نوعيا وأصبح صحفيا وكاتب مسلسلات إذاعية للإذاعة السورية بالعامية، وموظفا حكوميا وانتهى روائيا.

وتبدو هذه المسافة الملغزة من الأعمال اليدوية الشاقّة إلى النشاط الذهني مجسّدا في الإبداع الروائي كلّ سيرة حنا مينة التي تسبق أدبه وتسوّق له بل وتستحوذ على الاهتمام أكثر من أدبه ذاته لا سيما في سياق البحث عن الإثارة الإعلامية، وهي على كثافتها تكفي أيضا للتدليل على مدى التزامه بالإيديولوجيا التي اعتنقها وعبّر عنها حيث تبدو صورة الكاتب اليساري القادم من وسط اجتماعي فقير صورة جذّابة، لكن هذه السيرة تخلو من المصادر الأدبية التي صنعت تجربة الكاتب أو الكيفية التي استطاع بواسطتها أن يصبح أديبا في الأربعين من العمر، وإنّما تتألّف القصة فيها مثلما هو مألوف في غيرها من قصص العصامية من ثنائيات ضديّة متعدّدة: الفقر والغنى، الجهل والمعرفة، المادّة والفكر.

ويغذّي حنا مينة أسطورته الذاتية في الخيال الشعبي بوصيّته التي كتبها يوم 17 أغسطس من العام 2008 ونشرتها جريدة «الثورة» في دمشق اليوم التالي، ففيها يذكّر مجدّدا بسيرة كفاحه الأولى «منذ أبصرت عيناي النور، وأنا منذورٌ للشقاء، وفي قلب الشقاء حاربت الشقاء، وانتصرت عليه، وهذه نعمة الله، ومكافأة السماء»، وعلّق على ذلك الناقد «صقر أبو فخر» في مقال بعنوان: «ماذا يفعل حنا مينة هذه الأيام؟» قائلا: «الواضح أنّ لغة تلك الوصية موشّحة ببعض العبارات الدينية، وهي غريبة على روائي شيوعي عريق ظل يجاهر بشيوعيته حتّى الأمس القريب» وينتهي إلى القول بأنّ حنا مينة أضحى وهو في التسعينات من العمر «يتقلب في عزلة الألم، أو في ألم العزلة، بعدما رحل جميع أصدقائه، و«تشقلب» العالم كلّه من حوله».

هكذا إذن تُختصر حياة حنا مينة في كونه كاتبا عصاميا توقّف عن الدراسة منذ المرحلة الابتدائية وعمل أعمالا شاقّة لمكافحة القهر الاجتماعي، وانتصر على الشقاء بأن أصبح كاتبا مرموقا، يؤكّد الكاتب نفسه في وصيّته ما يحفّ بحياته من غموض بقوله: «ليس لي أهلٌ، لأن أهلي، جميعاً، لم يعرفوا من أنا في حياتي، وهذا أفضل، لذلك ليس من الإنصاف في شيء، أن يتحسّروا عليّ عندما يعرفونني، بعد مغادرة هذه الفانية» وهكذا جعل الكاتب حياته الشخصية مبثوثة في رواياته وإن لم تكن كما هو متعارف عليه في الأعراف الأدبية من جنس السيرة الخالصة أو الرواية السيرية المتّفق حولها، فهي روايات أساسا لكن حضور ذات الكاتب فيها من أهمّ مظاهر انشدادها إلى الواقع الاجتماعي، من خلال إحالات مكانية وزمانية تنتمي إلى عصر الكاتب وحياته على غرار المرافئ والمقاهي ومدن البحر، كما كان شأن نجيب محفوظ في روايات المرحلة الواقعية وغيره من الكتاب الذين لا يبتعد خيالهم كثيرا عن حياتهم وواقعهم. ويلخّص حنا مينة هذا التداخل بين حياته وأدبه في قوله «قد تقضى العمر في حلقاته المتتابعة، بشيء جوهري لديّ هو تحقيق إنسانيتي، من خلال تحقيق إنسانية الناس. أنفقت طفولتي في الشقاء، وشبابي في السياسة، ولئن كان الشقاء قد فُرِضَ عليّ من قبل المجتمع، فعشت حافياً، عارياً، جائعاً، محروماً من كلّ مباهج البراءة الأولى. فإنّ السياسة نقشت صورتها على أظافري بمنقاش الألم، فتعلّمت مبكّراً، كيف أصعّد الألم الخاصّ إلى الألم العامّ، وكيف أنكر ذاتي، وأنتصر على رذيلة الأنانية، وكلّ إغراءات الراحة البليدة، التي توسوس بها النفس، فكان الإنسان في داخلي، إنساناً توّاقاً إلى ما يريد أن يكون، لا إلى ما يُراد له أن يكون».

داخل مدوّنة حنا مينة النصيّة عالم روائي واحد تتشابه فيه المناخات وتتكرّر يسمّيه النقاد عالم البحر، لكنّ الميناء لا يمثّل مكانا روائيا يستوعب الأحداث التي يخوضها أبطال الرواية بقدر ما هو موقع رمزي تخوض فيه الذات الراوية معركتها مع الوجود. ولئن كانت الرواية تقوم على هذا العالم المطابق للواقع والذي يلبّي شهيّة النقد الاجتماعي القائم على فكرة الانعكاس بين النص والمجتمع فإنّها تقوم أيضا على فكرة البطل وصورته الخارقة، فهو العمود الفقري الذي تتحلّق حوله الأحداث وتتجمّع، هكذا هو «مفيد الوحش» في «نهاية رجل شجاع» الرواية الأكثر شهرة بعد أن تمّ تحويلها العام 1993 إلى مسلسل تلفزيوني ناجح وهكذا هو «زكريا المرسلي» في «الياطر» أهمّ رواية كتبها حنا مينة من وجهة نظر كثير من النقاد يعتبرون أنّه لم يكتب بعد أكثر من ثلاثين عنوانا إلاّ رواية واحدة.

ع.ب.ع

Découvrez les avantages
du voyage sans cash

- Soyez rassuré avec une assurance maladie en voyage qui vous couvre ainsi que votre famille.
- Profitez des réductions jusqu'à 30% avec Cleartrip lorsque vous réservez des vols aller-retour internationaux ou des nuitées d'hôtel .
- Comptez sur Mastercard Global Service™ pour avoir un dépannage en cash en cas d'urgence, où que vous soyez dans le monde.
- Faites votre choix parmi des centaines d'offres dans des restaurants, spas et attractions avec les Offres Mastercard Buy 1 Get 1.
- Bénéficiez d'avantages et de réductions exclusifs sur des marques de luxe dans les Villages Chic Outlet Shopping® en Europe.
- Accédez à des expériences et des offres Priceless Cities dans le monde entier.
- Ne payez que pour les achats que vous autorisez et protégez-vous contre la fraude.

Pour plus de détails, consultez **www.mastercard.com/prepaid - www.bna.tn**

mastercard.

سماحة الإسلام من خلال قصّة من التراث

هذه الصوّر من سماحة الإسلام وتسامح المسلمين استقيتها من كتاب «الأغاني» الذي يعتبره العلاّمة عبد الرحمن بن خلدون «ديوان العرب»، والذي لا يختلف اثنان على أنّه، كما يقول شارحاه الأستاذان عبد الأمير مهنا وسمير يوسف جابر، أجمع كتاب للأدب العربي وتاريخه، وأنّه من أمّهات المصادر العربية، حيث أنّ المتأدّب يظفر فيه «بما يروق له من فنون الشعر، وجزالة الخطب، ورقّة الأسلوب، وطرافة القصص، وحلو الأخبار، ومراجع التاريخ، ومناهل الأدب، وجميل الأمثال والنوادر والحكم، ومعين أشتات المحاسن وسجّل أيام العرب».

ولقد صدق الشارحان فيما قالاه، فقد اكتشفت، وأنا أعيد مطالعة كتاب «الأغاني» بعد أن كنت طالعته في سنّ الشباب أيام الدراسة الجامعية، أنّه يزخر بالقصص التي يمكن أن تسهم في تقديم الجواب الضافي والشافي على حالة الحيرة والارتباك التي قد تنتاب المسلم من فرط ما بات ينتاب معتقداته، في هذا الزمن الرديء، من حملات التشكيك والتشهير، بل من حملات التحقير والتصغير...

ولقد بلغ هذا الزمن الرديء من الرداءة حدّا صار معه الإسلام مستهدفا، بالكلمة واللكمة، من كلّ حدب وصوب في أركان الأرض الأربعة، ومن كلّ من هبّ ودبّ من غير المسلمين، وحتّى من بعض المسلمين الذين قد ينخرطون، عن قصد أو غير قصد، في تكريس ما يتّهم به من التحجر والتعصّب والتطرّف والإرهاب... ولعلّ من أجمل القصص التي يمكن أن نستهلّ بها هذه السلسلة من المقالات القصّة التالية التي كان بطلها الحارث بن عبد الله، وهو شريف كريم دين وسيّد من سادات قريش، والتي جاء فيها ما يلي: «وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيبي: أنّ أمّه ماتت نصرانية وكانت تسرّ ذلك. فحضر الأشراف جنازتها وذلك في عهد عمر بن الخطاب، رحمة الله عليه، فسمع الحارث من النساء لغطا، فسأل عن الخبر، فعرف أنّها ماتت نصرانية وأنّه وجد الصليب في عنقها، وكانت تكتمه ذلك. فخرج إلى الناس فقال: انصرفوا رحمكم الله فإنّ لها أهل دين هم أولى بها منّا ومنكم. فاستحسن ذلك منه وعجب الناس من فعله». (الأغاني، المجلد الأول، ص 76، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان).

إنّ هذه القصة التي قد يقرؤها القارئ ويمرّ عليها مرور الكرام لا سيما وإنّها قصيرة لا تتجاوز بضعة أسطر، جديرة بأن نتوقّف عندها فهي تختزن في طيّاتها، كما أرى، كنوزا من الرموز التي تجسّم سماحة الإسلام وتسامح المسلمين في أروع صورهما...

وبالفعل فإنّ ردّة فعل الحارث بن عبد الله عندما أعلم بأنّ والدته ماتت نصرانية كانت رائعة، فهو لم يغضب، ولم يتشنّج، وإنّما تصرّف بكلّ هدوء، وبكلّ حكمة، وخاصّة بكلّ احترام لديانة والدته حيث طلب من الناس الذين حضروا إلى جنازتها الانصراف، مبرّرا ذلك بأنّ أهل دينها أولى بها وبدفنها...

وعلى نفس المقدار من الرّوعة كان موقف الناس الذين استحسنوا ردّة فعله وعجبوا من فعله والحقيقة أنّهم أعجبوا بفعله...

أفليس ذلك كلّه دليلا على تأصّل روح التسامح عند المسلمين؟ وهل يستطيع الذين يدّعون احترام حقّ الاختلاف ولا يتورّعون عن مهاجمة الإسلام والمسلمين أن يعثروا في آدابهم على قصّة تماثل هذه القصّة أو تشابهها؟

محمد إبراهيم الحصايري

الـــصّحـــافة الأدبيّـــة في تـــونـــس

حـــاضنـــة الأدب الـتّـونسـيّ الحـــديـــث

• بقلم د. الحبيب الدّريدي

قد يستغرب المرء عندما يقرأ في صحيفة «الرّائد التّونسيّ» سنة 1861 قصيدة مطوّلة عصماء لمحمود قابادو في الإشادة بقانون عهد الأمان ، ولكنّ استغرابه يزول عندما يُلاحظ أنّ الأدب يحتلّ مكانة بارزة في جلّ الصّحف التّونسيّة الصّادرة في تلك الفترة مثل «الحاضرة» لعلي بوشوشة (1888) و«الزّهرة» لعبد الرّحمان الصّنادلي (1889) و«الصّواب» لمحمّد الجعايبي (1904) . وقد أفضى ذلك إلى ظهور صحافة أدبيّة مختصّة أو إلى إنشاء أركان أدبيّة هامّة في الصّحف والمجلات التّونسيّة حتّى جاز لنا القول بأنّ تاريخ الصّحافة الأدبيّة في تونس هو تاريخ الأدب التّونسيّ الحديث..←

ويعود هذا الاقتران إلى أسباب موضوعيّة عديدة :

• فقد ظهرت أهمّ مُنجزات الأدب التّونسيّ شعرا ونثرا في الصّحافة الأدبيّة قبل أن تصدر في كتب مستقلّة ، وذاع صيت أعلام الأدب واشتهرت أعمالهم لدى القرّاء من خـلال أعمدة الصّحـف قبـل أن تُنشر لدى دور الطّبـاعة والنّشـر، ذاك شـأن الشّابّي والمسعـدي والدّوعاجي ومحمود بيرم وخزندار وخريّف وغيرهم كثير.

• عكست الصّحافة الأدبيّة ما كان يجري في السّاحة الثّقافيّة والفكريّة من تنافـس خلّاق بين الأدبـاء والكتّاب وبين المدارس والمذاهب وما كان يدور من معارك وخصومات أدبيّة بين التّيّارات المتباينة والاتّجاهات المختلفة : بين الإحيائيّين والرّومنطيقيّين وبين الكلاسيكيّين والمجدّدين وبين أنصار الاكتفاء بالتّراث وأنصار الانفتاح على الأدب الغربيّ فكشفت حيويّة الحركة الأدبيّة والفكريّة في تونس أوائل القرن الماضي.

• كانت الصّحافة الأدبيّة ترجمانا بليغا عن يقظة الحياة الجمعيّاتيّة وحركيّتها، إذ أنّ كثيرا من الصّحف والمجلّات الأدبيّة هي في الحقيقة لسان بعض الجمعيّات مثل قدماء الصّادقيّة والجامعة الزّيتونيّة وغيرهما.

وسنحاول فيما يلي أن نستعرض أبرز عناوين الصّحافة الأدبيّة في تونس في النّصف الأوّل من القرن العشرين.

مجلّة السّعادة العظمى

مجلّة نصف شهـريّة أسّسـها محمّد الخضـر بن الحسـين (1876 – 1958) وصدر عددها الأوّل في أفريل 1904، وقد أرادها على شاكلة مجلّة المنار لمحمّد رشيد رضا حاضنة للنّهج الإصلاحيّ وداعية إلى تجديد الفكر الدّينيّ. وهي تضمّ فضلا عن باب العلوم الدّينيّة ركنا أدبيّا برع في تزويده بالمقالات النّقديّة عبد العزيز المسعودي، كما نشر صاحب المجلّة بهذا الرّكن عددا من قصائده. ولعلّ الطّريف أنّ بعض الأسئلة الفقهيّة ترد على المجلّة شعرا فتجيئ الأجوبة التّي يُعدّها الشّيخ محمّد المكّي بن عزّوز شعرا كذلك. لم يظهـر من هذه المجلّة سوى 21 عددا فقد صدر آخر أعدادها في جانفي 1905.

مجلّة تونس

اشترك في تأسيسها صالح بن محمود الذّي كان مُحرّرا بجريدة الزّهرة وموظّفا بمصالح الأشغال العامّة وصحفي لبناني مقيم بتونس يُدعى غابريال أنكيري، واتّخذت مقرّا لها بسراية البكّوش بباب البحر، ولكن لم يصدر من هذه المجلّة نصف الشّهريّة سوى ثلاثة أعداد بين 15 أكتوبر و16 نوفمبر 1906.

ولكنّ الجدير بالذّكر أنّ هذه المجلّة هي أولى المجلّات النّاطقة باللّسانين العربيّ والفرنسيّ، ولئن كان القسم الفرنسيّ أقلّ حجما من القسم العربيّ فإنّه قد مكّن من ترجمة بعض النّصوص الأدبيّة الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة والتّعريف بالآداب الأوروبيّة. ومن كتّاب هذه المجلّة حسن حسني عبد الوهاب الذّي نشر بها قصّة حول اللّيلة الأخيرة للعرب بغرناطة ومقالا حول تاريخ صقليّة بعد الفتح الإسلاميّ.

مجلّة خير الدّين

مجلّة شهريّة أسّسها محمّد الجعايبي (1880 – 1938)، صاحب جريدة «الصّواب» (1904)، صدر من هذه المجلّة سبعة أعداد بين مارس وسبتمبر 1906. ويدلّ عنوانها على أنّها تتبنّى فكر خير الدّين التّونسيّ ونهجه الإصلاحيّ، ولذلك خُصّص العدد الأوّل للتّعريف بخير الدّين ومناقبه. ومن ميزات هذه المجلّة أنّها أوّل من بادر بإثارة قضيّة تحرير المرأة وببلورة الأفكار الأولى للحركة النّسويّة بتونس. أمّا في باب الإبداع الأدبيّ فيسجّل لمجلّة خير الدّين نشرها لقصّة صالح السّويسي القيرواني «الهيفاء وسراج اللّيل» في العددين السّادس والسّابع.

مجلّة الثّريّا

مجلّة شهريّة أدارها وترأّس تحريرها بن عيسى بن الشّيخ أحمد (1880 – 1957) صاحب جريدتين فكاهيّتين «جحا» و«جحجوح»، ومقرّها بنهج الزّاوية البكريّة بتونس، صدر منها ثلاثة أعداد بين أفريل وجويلية 1909. كانت لهذه المجلّة نزعة إصلاحيّة واضحة، فقد اهتمّت بقضايا المرأة والتّعليم ونادت بإلغاء تعدّد الزّوجات وتنظيم أحكام الطّلاق ونزع الحجاب . وكان لها قسم أدبيّ واعد إلّا أنّ توقّفها عن الصّدور حرم عديد الأقلام من نشر أعمالها الأدبيّة لعلّ أبرزهم صالح السّويسي الذّي كانت المجلّة قد وعدت في عددها الأخير بنشر رواية مسلسلة من تأليفه.

مجلّة الآداب

مؤسّسها ومديرها عبد الرّحمان سومر، مدرّس متقاعد ألّف بعض الكتب المدرسيّة، كان مقرّها بسوق السّرايريّة، وقد صدر منها ثمانية أعداد شهريّة بين سبتمبر 1920 وأفريل 1921.

ولعـلّ ميزتهـا الأسـاسيّة أنّهـا مـن أوائل المجلّات التّي اهتمّت بالمسرح وعلّقت على بعض الأعمال المسرحيّة واعتبرت هذا الفـنّ مـدرسة اجتمـاعيّة وأخلاقيّة كبرى.←

المجلّة الصّادقيّة

صاحبها هو الشّاعر محمّد السّعيد الخلصي (1896 – 1962)، ومقرّها بسوق العطّارين، صـدر منها ثلاثة أعـداد بين أفريل وجويلية 1920، وهي لسان جمعيّة قدماء الصّادقيّة. من أبرز محرّريها مصطفى صفر ومحمّد بورقيبة وسالم بوحاجب، ومن ألمع شعرائها الشّاذلي خزندار ومصطفى آغا. أمّا سعيد الخلصي فنشر على امتداد الأعداد الثّلاثة نصوصا لألكسندر ديما وفيكتور هيقو وتولّى ترجمتها إلى العربيّة.

مجلّة الفجر

أسّسها المحامي ورجل السّياسة أحمد الصّافي وأسند إدارتها إلى علي كاهية لتجاوز الصّعوبات التّي وجدها في الحصول على ترخيص من السّلط الأمنيّة الاستعماريّة باعتباره الكاتب العامّ للحزب الدّستوريّ التّونسيّ وأحد أعضاء الوفد الذّي قدّم المطالب التّونسيّة للحكومة الفرنسيّة سنة 1920.

صدر من مجلّة الفجر واحد وعشرون عددا بين أوت 1920 وجوان 1922.

اهتمّت المجلّة بقضايا اللّغة العربيّة وضرورة مواكبتها للعصر ومخترعاته الجديدة وكانت تُعيد نشر قصائد لكبار شعراء العربيّة من أمثال حافظ إبراهيم وأحمد شوقي ولأدباء من المشرق من أمثال الشّاعرين فهمي البغدادي وأحمد أفندي نسيم. ومن التّونسيّين نشرت مقالات لعثمان الكعّاك وقصائد للشاذلي خزندار وسعيد أبي بكر ومصطفى آغا. اتّخذت المجلّة نزعة نضاليّة واضحة وانطوت على البذور الأولى لمذهب الالتزام في الأدب.

مجلّة البدر

مجلّة شهريّة أنشأها المسرحيّ المعروف محمّد الحبيب وكُلّف بإدارتها محمّد العربي المشيرقي، صدر منها أحد عشر عددا بين جويلية 1920 وجويلية 1922. وهي في الحقيقة لسان جمعيّة علميّة ثقافيّة تحمل اسم «الجامعة الزّيتونيّة» كان يترأّسها المدرّس الزّيتوني محمّد مناشو وتضمّ هيئتها المؤسّسة نخبة من رجال الثّقافة والفكر والإعلام وقتئذ من أمثال زين العابدين السّنوسي ومحيي الدّين القليبي وأحمد الدّرعي والهادي المدني وبلحسن بن شعبان.

وقد خصّصت هذه المجلّة حيّزا هامّا للإنتاج الأدبيّ والمقالات النّقديّة لكتّاب من تونس ومن المشرق فكتب عيسى إسكندر معلوف حول مجمع اللّغة العربيّة بدمشق وأشرف حسن حسني عبد الوهاب على ركن سمّاه ديوان الأدب التّونسي استعرض فيه الأدباء التّونسيّين منذ الفتح الإسلاميّ لإفريقيّة.

وحفلت المجلّة بقصائد لمعروف الرّصافي وجميل صدقي الزّهاوي من العراق ولصالح السّويسي وسعيد أبي بكر ومحمّد صالح النّيفر الذّي كان يُمضي باسم مستعار «أبو العُلا» والهادي المدني الذّي كان يُمضي باسم «ابن رشيق» من تونس.

مجلّة العرب

بعد أن خاض الشّاب النّشيط زين العابدين السّنوسي تجارب في عـدد من الصّحف والمجلّات الأدبيّة آخرها مجلّة البدر خيّر أن يُؤسّس مجلّة جديدة أطلق عليها اسـم «العرب»، صدر منها ثمانية أعداد بين أوت 1923 ونوفمبر 1924. وقد حمّل السّنوسي في افتتاحيّة العدد الأوّل مسؤوليّة المصاعب التّي تعرّضت لها مجلّة البدر لمحمّد الحبيب الذّي استولى – على حدّ تعبيره – على المجلّة وتأخّر في إصدار أعدادها إلى أن وقعت تحت طائلة القانون الذّي يوقف كلّ نشريّة تتعطّل عن الصّدور لمدّة تتجاوز الثّلاثة أشهر.

وتميّزت مجلّة العرب بأنّها حملت بوادر تأثير مدرسة المهجر في الأدب التّونسيّ، وليس أدلّ على ذلك من احتفائها بصدور كتاب ميخائيل نُعيمة «الغربال» سنة 1923. وشهدت المجلّة دخول قلم جديد عالم الأدب هو الطّاهر الحدّاد الذّي نشر بها أولى قصائده الشّعريّة، كما وثّقت مرحلة هامّة في مسيرة الشّاذلي خزندار وهي مرحلة «السّجنيّات» تلك القصائد الفخريّة والوطنيّة التّي قالها بعد أن سُجن بسبب مناصرته للثّعالبي.

مجلّة العالم

مجلّة شهريّة أسّسها محمّد فخري وتعاقب على إدارتها كلّ من زين العابدين السّنوسي ومصطفى بن شعبان وسعيد أبي بكر، أصدرت 25 عددا بين جانفي 1930 ونوفمبر 1932. ويذكر التّاريخ أنّها نشرت محاضرة الشّابّي الشّهيرة حول الخيال الشّعريّ عند العرب، ولكنّ الطّريف أنّ محمّد الحليوي الذّي يُشاطر الشّابّي التّأثّر بالأدب الرّومنطيقي نشر مقالا في المجلّة للرّدّ على أبي القاسم ومعارضة ما جاء في محاضرته.

مجلّة العالم الأدبي

هي بلا منازع أحد أهم عناوين الصّحافة الأدبيّة في تونس خلال الثّلث الأوّل من القرن العشرين، أسّسها زين العابدين السّنوسي (1901 - 1965)، صدر منها 69 عددا في فترة اعتُبرت العصر الذّهبيّ للأدب التّونسيّ الحديث (1930 – 1936).←

AUTOMOBILES ZOUARI
CONCESSIONNAIRE / SAV VÉHICULES DE TOURISME

INFOLINE :
70 130 130

TUNIS
Route de sousse GPI Km7 2033 - Mégrine
Tél : (+216) 70 130 070 - 70 130 060
Fax : (+216) 71 425 253

SOUSSE
Route de ceinture, 4022 Z.I. Akouda
Tél : (+216) 70 130 040 - 70 130 050
Fax : (+216) 73 343 233

SFAX
Route de Gabes, bvd de l'environnement,Km 2,5
Tél : (+216) 70 130 020
Fax : (+216) 74 281 020

GABES
Route de Tunis: Km 0,5 DP 31 - 6001 Hached
Tél : (+216) 70 130 090
Fax : (+216) 75 274 151

وحرص أصحاب المجلّة على أن يتجاوز إشعاعها الحدود المحليّة فتتمكّن من احتلال مكانة مرموقة في البلاد العربيّة مغربا ومشرقا، كما راموا إبراز التّراث المحلّي وفسح المجال رحبا أمام الأدباء التّونسيّين على سبيل التّصدّي للهيمنة الأدبيّة المشرقيّة.

ومن هذا المنطلق ستكون مجلّة العالم الأدبيّ المنبر الذّي سيُعرّف بالأدب التّونسيّ الحديث تعريفا واسعا ويُتيح له أن يشدّ اهتمام الأوساط الأدبيّة في المغرب والمشرق. فمن مجلّة العالم الأدبيّ سترتدّ أصداء الشّابّي والحليوي والبشروش والفاضل بن عاشور ومصطفى خريّف ومحمّد العريبي وعلي الدّوعاجي. بل إنّ المجلّة أفردت عددا كاملا للشّابّي بمناسبة وفاته ونشرت قصّة الدّوعاجي «جولة بين حانات البحر المتوسّط» مُوزّعة على ستّة أجزاء. ونظّمت الاستفتاء الشّعريّ الشّهير الذّي فاز فيه كرباكة ومحمود بورقيبة والطّاهر القصّار بالمراتب الأولى.

صحيفة الشّباب

هي صحيفة أسبوعيّة أسّسها محمود بيرم التّونسي، وصدر منها عشرون عددا بين 29 أكتوبر 1936 و12 مارس 1937. كان بيرم يُحرّر الجانب الأوفر منها وينشر بها أزجاله وأشعاره النّاقدة ومقالاته حول نجوم الغناء التّمثيل في تلك الفترة. إلّا أنّ القارئ يجد بعض المساهمات للهادي العبيدي ومساحة لا بأس بها للكاريكاتور والرّسوم السّاخرة بريشة حاتم المكّي وعمر الغرايري.

مجلّة الأفكار

مجلّة شهريّة ، مؤسّسها هو حمّودة قوجة ورئيس تحريرها نور الدّين بن محمود، صدر منها أربعة أعداد فحسب بين نوفمبر 1936 وسبتمبر 1937، وكان مقرّها بسوق اللّفّة.

سارت مجلّة الأفكار على نهج العالم الأدبيّ وحاولت سدّ الفراغ الذّي تركه غيابها في السّاحة الأدبيّة فواصلت تشجيع الأدب التّونسيّ والتّعريف بأعلامه. ولعلّ أهمّ الآثار التّي تركتها هذه المجلّة هي نشر بعض رسائل الشّابّي إلى محمّد الحليوي بتعليق الحليوي نفسه عليها ، وتخصيصها عدد نوفمبر 1936 لإحياء الذّكرى الثّانية لوفاة الشّابّي فكتب بالمناسبة نور الدّين بن محمـــود ومحمّـــد صـــالـــح المهيـــدي ومختـــار بن محمود ومحمّد الحليوي وعلي بن هادية.

المجلّة الزّيتونيّة

هي مجلّة أساتذة الزّيتونة، أسّسها الشّيخ محمّد الشّاذلي بالقاضي، وترأّس تحريرها محمّد المختار بن محمود، أمّا إدارتها فأُسندت إلى الطّاهر القصّار، صدر عددها الأوّل في سبتمبر 1936 وعددها الأخير في نوفمبر 1955.

ورغم أنّها مجلّة مختصّة في العلوم الشّرعيّة فقد كان لها رُكن أدبيّ هامّ إذ أنّ مُديرها شاعر وأديب وقد نشر بها قصائد ومقالات له حول التّجديد في الأدب، توزّع اهتمامها بالأدب بين الشّعر والمقال النّقديّ، فمن شعراء المجلّة الزّيتونيّة الشّيخ العربي الكبادي وبلحسن بن شعبان ومحمّد المقداد الورتتاني ومن نقّادها أحمد المختار الوزير والشّيخ محمّد الفاضل بن عاشور صاحب مقال فريد حول «البكاء في الشّعر العربيّ».

مجلّة المباحث

أسّسها محمّد البشروش وأدار تحريرها إلى تاريخ وفاته سنة 1944 فتولّى محمود المسعدي هذه المهمّة من بعده. وصدرت المجلّة في سلسلتين : الأولى بين جانفي ومارس 1938 (عددان) والثّانية بين أفريل 1944 وأكتوبر 1947 (43 عددا).

ولعلّ مزيّة مجلّة المباحث تكمن في أنّها ساهمت في إرساء مدرسة نقديّة جديدة أبرز أعلامها محمود المسعدي في دراساته حول أبي العتاهية وأبي العلاء المعرّي، وسار على نهجه علي البلهوان في مقال له حول المتنبّي وكذلك الشّأن بالنّسبة إلى أحمد عبد السّلام ومصطفى الفيلالي ومحجوب بن ميلاد وأحمد عبد الوهاب بكير.

أمّا مزيّتها الثّانية فهي احتضانها لأهمّ النّصوص الرّوائيّة والقصصيّة في الأدب التّونسيّ الحديث، ففيها نشر المسعدي بعض أحاديث «حدّث أبو هريرة قال...» و«مولد النّسيان» و «السّندباد والطّهارة»، ونشر الدّوعاجي قصّته الشّهيرة «نزهة رائقة» التّي ستتحوّل إلى شريط سينمائيّ.

ح.د

ATL LEASING

ATL Leasing, vous offre la possibilité de louer les biens dont vous avez besoin pour votre activité pendant une période pouvant atteindre 84 mois.
En fin de période vous en devenez propriétaire.

ATL
LEASING
Plus qu'un leasing...

رواية «عام الفزوع 1864»

أحداث دامية هزّت الدولة التونسية

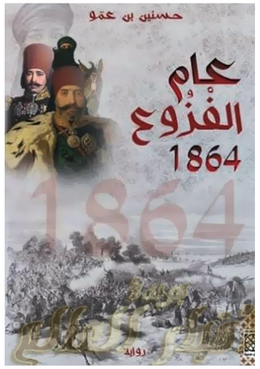

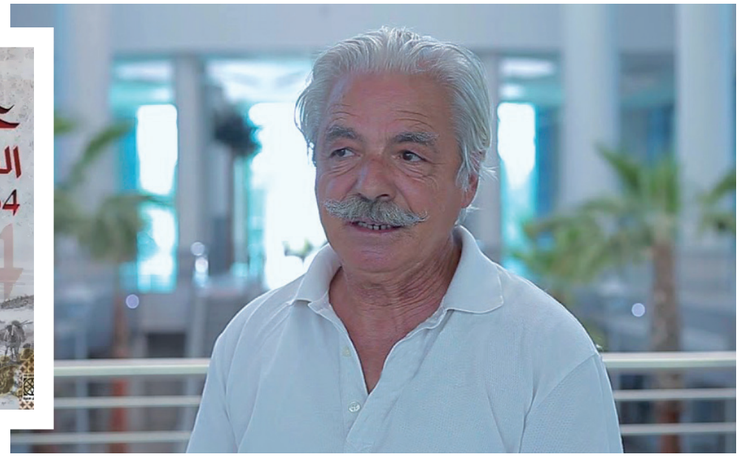

كما يدلّ عليها عنوانها «عام الفزوع 1864»، تسرد رواية حسنين بن عمو أحداث هذا العام الفارق في تاريخ تونس الذي شهد «ثورة العربان» ضد الباي، نتيجة التعسف الجبائي الذي فرضه على أهالي المملكة، ثم قمع هذه الثورة وما تلا ذلك من نتائج كارثية كان لها تأثير فيما بعد على احتلال تونس من قبل الفرنسيين. يعود الكاتب إلى أحداث هذا العام محاولا أن يرصد بدقّة كبيرة جميع المراحل التي مهّدت لحصول الثورة، بداية من الترفيع في المجبى في عام 1863 وتعميمه على كافة الرعايا التونسيين على اختلاف معتقداتهم الدينية وطبقاتهم الاجتماعية إلى أن انطلقت أولى شرارات الثورة في الشمال الغربي بقيادة علي بن غذاهم وتوسّعها شيئا فشيئا لتشمل الوسط والجنوب ثمّ الساحل. ثم يتطرّق بعد ذلك إلى أسباب فشلها والدهاء السياسي لمصطفى خزندار وقدرته على إجهاضها وتفريق شمل الثوار، قبل أن يستعرض فنون التشفّي والانتقام التي سلّطها الباي على الثوار المستسلمين الذين طلبوا منه الأمان. ولم يفت الكاتب أن يعرّج على الدور الذي لعبه القناصل الأجانب خلال هذه الفترة عبر التدخّل المباشر في شؤون البلاد والتأثير على الصادق باي وحكومته. يراوح أسلوب الرواية بين السرد التاريخي للأحداث وبين الحبكة القصصية التي استدعت من الروائي استحضار شخصيات مختلقة تعاصر الشخصيات الحقيقية التي لعبت دورا محوريا خلال الثورة، فتتمازج معها لتسلّط الضّوء على الطابع الإنساني لأبطال الثورة. فنكتشف مثلا من خلال الثنائي «العاتي» وأخته «هنية» وهما من أصيلي تالة هربا منها إلى تونس بعد تعسّف «قايد ماجر» عليهما، شخصيتين محوريتين خلال الأحداث وهما علي بن غذاهم ومصطفى خزندار. من خلال هذه الشخصيات المختلقة التي تدور في فلك الشخصيات الحقيقية، يعطي حسنين بن عمو بعداً آخر لأحداث سنة 1864، بُعدا قد يغيب عن الرواية التي أعطاها المؤرّخون لهذه الأحداث. بُعدا يُأنسن ما جرى ويُقرّب للقارئ صورة هول ما حصل في تلك الحقبة من قتل وسلب ونهب وتقفير للأهالي وقمع لهم من طرف قوّات الباي المصّر على سدّ آذانه عن شكواهم وتمسّكه بمعاملتهم كحيوانات وليس كرعايا لمملكته، رغم أنّه في عهده، صدر عهد الأمان (1859) الذي ينصّ على تحقيق العدل بين الرعيّة، إلى جانب أوّل دستور تونسي (1861) يفصل بين السلطات السياسية ويقرّ بالمساواة في الحقوق والواجبات بين كلّ التونسيين، أيّا كانت دياناتهم وأعراقهم.

تعدّد الثنائيات

تقوم الرواية على مجموعة من الثنائيات تشكّل عمودها الفقري، حيث نجد أولا ثنائية: «باي تونس» الصادق باي، ممثّل السلطة الحسينية، الغارق في الملذات والمحيط نفسه بحاشية فاسدة من المماليك الغرباء عن الأرض، المنقطع عن الشعب وحاجياته ورمز التعسّف←

والتسلّط والظّلم. ويقابله «باي العربان» وهو علي بن غذاهم، رجل تقي وورع، متعلّم، من قبيلة ماجر، مؤمن بقضيّته وقضيّة السكان المحليين، ثائر ضدّ السياسة التعسّفية للدولة وراغب في تحقيق العدل. ثنائية أخرى نجدها أيضا وهي بين الباي ووزيره، ففي حين يمثّل الأوّل، رمز الخمول وضيق الأفق وغياب النظرة السياسية، يرمز الثاني إلى الدهاء السياسي للمماليك الذين عرفوا كيف يتحكّمون في كلّ دواليب الدولة ويستعملونها للإثراء الفاحش على حساب السكان الأصليين وذلك من خلال بسط نفوذهم الكامل على البايات والتلاعب بهم، مستعينين في ذلك بالقناصل الأجانب المترصدين للإيقاع بتونس في شباك الاستعمار. الثنائية الثالثة التي تظهر في الرواية هي ثنائية الحضر والبدو، حيث تُبرز التناقض بين الفئتين في البيئة والتفكير والطباع والنظرة إلى الحياة والعلاقات الاجتماعية والقيم، بما لا يسمح أبدا بتلاقيهما، وهو ما يفسّر العلاقة التصادمية الدائمة بين الفئتين، التي شكّلت الثورة ذروة تمثّلها. فمن جهة، نجد الحضر أو ما يعبّر عنهم «بالبلدية» الغارقين في رغد العيش والمستمتعين بالملذّات المحرّمة، لهم أسلوبهم الراقي في العيش، وتربط بينهم أساسا علاقات تقوم على المصالح والنفعية ويستنكفون من الآخر البدوي المختلف عنهم وينظرون إليه بنظرة فوقية تحجّمه وتحوّله إلى خادم أبدي لهم. ومن جهة أخرى، نجد البدو بطباعهم الخشنة الناتجة عن بيئتهم القاسية وطريقة عيشهم الصّعبة والصّلفة، وعلاقاتهم الاجتماعية التي تحكمها قيم مثل الشجاعة والشهامة والتضامن والنأي بالنفس عن الخيانة ولكنّ ذلك لا يمنع غزوهم لبعضهم البعض من أجل البقاء، إلّا أنّ ما يوحّدهم هو الإحساس بالضيم من حاكم متسلّط وفاسد يمتصّ دماءهم ومن طبقة من الحضر تعيش حوله ولا تكنّ لهم سوى الاحتقار.

ثنائية الحضر والبدو تظهر أيضا في أسلوب إدارة الثورة. ففي حين، يختار البدو القوّة والمواجهة، يعمد الحضر إلى المهادنة والحيلة والرشوة والدسائس لتنقلب الكفّة في الأخير لصالحهم، حيث تلعب السلطة على النزاعات المستمرّة بين القبائل وإذكاء النعرات واستغلال عامل الحاجة والفقر لقلب الموازين والحثّ على الخيانة. وهنا يدخل عامل السذاجة البدوية في مقابل الخبث والحنكة السياسية «للبلديّة». على هذه القاعدة من التناقضات الاجتماعية والاقتصادية، قامت ثورة 1864 في محاولة لتعديل هذا الواقع المختلّ، لتحقيق القليل من العدالة والحدّ من تغوّل طرف على حساب الاخر. رغم هزيمة «العربان» وتشتّتهم وضعف حيلتهم أمام السلطة، يرسم الكاتب لهم بورتريه مؤثّرا وجميلا، فيحاول أن يركّز على بساطتهم وطيبتهم التي تصل إلى حدّ السذاجة أحيانا وعلى شجاعتهم أمام الموت وعدم استكانتهم للظلم والتعسّف. وكأنّه يحاول أن ينصفهم، كما لم ينصفهم التاريخ الذي يكتبه دائما المنتصرون والأقوياء. بذلك لا يستطيع القارئ إلّا التعاطف معهم أمام الماكينة القمعية للسلطة التي تجرّدهم من إنسانيتهم.

المؤسّسة الدينية والنساء حلفاء السلطة

تطرح الرواية أيضا دور المؤسّسة الدينية، المتمثّلة في الطرق الصوفية، في معاضدة السلطة في سعيها للتحكّم في الرعية. فمشايخ الطرق يصطفّون طوعا إلى جانب الحاكم ولو كان ظالما، بل ولا يستنكفون من استغلال الدين لخداع السكان واثباط عزائمهم وإخماد نار الثورة في قلوبهم وإقناعهم بالاستسلام للحاكم رغم تسلّطه وفساده، حيث تُبرز الرواية كيف كانوا سببا في تفريق كلمة القبائل أثناء توسّطهم بينها وبين السلطة مثل وساطة، «الشيخ مصطفى بن عزوز»، وتسليم رقاب الثوار إليها، وعلى رأسهم علي بن غذاهم. وعلى غرار رجال الدين، لعبت النساء أيضا دورا كبيرا في لعبة السلطة لإخضاع الثّوار والتحايل عليهم، حيث تم استعمالهن كخليلات أو جاسوسات من طرف الخزندار لالتقاط الأخبار والإيقاع بالأعداء، ليشكلن شبكة لابأس بها من الدعم والإسناد للوزير الأكبر حتى يُحكم سيطرته على الثورة ويجهضها. وهنا تم استغلال ضعف النساء وحاجتهن الدائمة إلى حام، لجعلهن يقمن بالمهام القذرة، ثمّ يتمّ التخلي عنهنّ وتركهن لمصير مجهول.

تدخّل القناصل في السياسية الداخلية للدولة

ولم يفت الكاتب إلقاء الضوء على دور القناصل الأجـــانب في إدارة السياسة التونسية وتدخّلهم السافر في الشؤون الداخلية للدولة، حتّى وصل الأمر بالقنصل الفرنسي «دبوفال» حدّ التهديد المباشر للباي، إذا لم يتخلّى عن وزيـــره الأكبـــر ويغيّر حكومتـــه، لا بل زاد على ذلك، بالتواطئ مع رؤوس الثورة للتخلص من غريمه مصطفى خزندار. في المقابل، نجد القنصل البريطاني «وودورد» يخطط مع هذا الأخير (الوزير الأكبر) لقطع الطريق أمام فرنسا لإلحاق تونس بالجزائر ووضعها تحت السيطرة الفرنسية، من خلال دفع الوزير الأكبر للضغط على الباي من أجل إعادة الإيالة التونسية تحت سيطرة السلطان العثماني. يبرز التدخّل الأجنبي أيضا من خلال قدوم الأساطيل الفرنسية والبريطانية والإيطالية والعثمانية للمرابطة في السواحل التونسية، أثناء الثورة، في استعداد للانقضاض على دولة ضعيفة ومشتّتة على حافة الإفلاس والاندثار، بحجّة حماية الرعايا الأجانب أو تقديم يد المساعدة للقضاء على انتفاضة «العربان».

ورغم تعدّد الأحداث وتشابكها، فإنّ نسق السّرد بقي سلسا ومرنا، تارة يتصاعد، وتارة يخفّ، ولكنّ القارئ لا يضجر أبدا. على مدى قرابة 600 صفحة، نجح الكاتب في جعله مشدودا للأحداث وللشخصيات، راغبا دائما في معرفة المزيد. كما أنّ تقنية المشهدية التي استعملها، بحيث يمرّ من مشهد إلى آخر ومن سياق مكاني وزماني إلى سياق مغاير تماما، أعطت بعدا سينماتوغرافيا للكتابة، فكأنّك تنتقل من مشهد مصوّر إلى مشهد آخر. كما أن هناك تكثيفا كبيرا للمشاهد عبر الوصف الدقيق لأدقّ تفاصيل الأماكن والشخصيات. رواية «عام الفزوع 1864» تأتي لتضيئ حقبة تاريخية كانت فيها الدولة التونسية في أشدّ حالات الضعف والوهن وعلى حافة الإفلاس، تتدخّل في شؤونها القوى الأجنبية لتعدّها ثمرة جاهزة للقطاف. وما أشبه الأمس باليوم، حيث تعيش الدولة حاليا وضعا مشابها إلى حدّ ما. أفلا نعتبر؟

حنان زبيس

فتحيّة خيـري في كتاب مثير

«فتحيّة خيري، فنّ وشجن» عنوان كتاب جديد لفاخر الرويسي صدر هذه الأيام عن دار تونس للنشر. وهذا المؤلّف الذي يقع في 240 صفحة من الحجم المتوسّط مساهمة جادّة في التأريخ للحركة الثقافية والفنيّة في تونس وفي تسليط الضوء، بصورة خاصّة ، على مسيرة الأغنية التونسية في القرن المنصرم وفتحية خيري هي بلا ريب أحد أبرز رموزها.

فبعد أن ألّف كتابا قيّما عن الأستاذ فتحي زهيّر عنوانه « العميد فتحي زهيّر: الوساطة الضائعة في الخلاف البورقيبي اليوسفي» اختار فاخر الرويسي هذه المرّة أن يكتب عن المرأة التي ربطتها قصّة حبّ بهذا المحامي والمناضل الوطني فتزوّجا وأنجبا طفلين لكن سرعان ما افترقا تحت ضغط أسرة زهيّر المحافظة، الأرستقراطية وبسبب انشغال فتحيّة خيري بنشاطها الفنّي على حساب تربية ابنها وابنتها. وبحكم قربه من أسرة زهيّر وبفضل جهده البحثي استطاع الكاتب أن يجمع وثائق وشهادات وصورا نادرة ترسم تضاريس مسيرة فنّانة قديرة نذرت عمرها للفنّ فمارست منذ ريعان شبابها الغناء والتمثيل المسرحي واكتسبت في هذين المجالين صيتا كبيرا جعلها نجمة من نجوم الوسط الفنّي وذلك قبل أن يستهويها الرسم فكانت لها محاولات لا ترقى -والحقّ يقال- إلى مستوى الإبداع والتألّق.

ينطلق فاخر الرويسي من ظروف نشأة فتحية خيري وبروز موهبتها الغنائية المبكّرة ليخلص للحديث تباعا عن «صولاتها وجولاتها» في المسرح والتحاقها بالرشيدية وعلاقاتها بالبلاط الملكي ، إذ كانت «مطربة القصر» وإشعاعها خارج حدود الوطن من خلال رحلاتها إلى الجزائر ومصر وباريس والمغرب وزواجها من الأستاذ فتحي زهيّر وطلاقها منه وانخراطها في الحركة الوطنية ومشاركتها في الحفل الفنّي الذي أقيم بقصر المرسى بمناسبة زواج الرئيس الحبيب بورقيبة ووسيلة بن عمّار في 12 أفريل 1962 ثمّ شغفها بالرسم الخطّي وبالألوان المائية بطريقة عفوية.

وتحتوي ملاحق الكتاب على جرد للأغاني والأناشيد والموشّحات التي سجّلتها فتحية خيري بالإذاعة التونسية والبعض من أرشيفها←

المتعلّق بكلمات الأغاني التي أدّتها مرقونة أو بخطّ أصحابها، علاوة على البعض من نوتات أغانيها. ولعلّ ما يميّز الكتاب اتّساع دائرة الاهتمام فيه بالبيئة السياسية والثقافية والفنية التي عاشت فيها فتحية خيري وعلاقاتها بالفاعلين فيها ممّا يكسبه طابعا أشمل يتجاوز إلقاء الضوء على الشخصية المحورية ، فمن خلالها وجد المؤلّف مدخلا لسرد أحداث هامّة كتأسيس الرشيدية ونشأة الإذاعة وخطاب بورقيبة في ساحة «قمبطة» في سنة 1936 وعودته من الشرق العربي في سنة 1949 وخلع المنصف باي ستّ سنوات قبل ذلك.

كما وجد فاخر الرويسي مجالا للحديث عن شخصيات من الوسطين الأدبي والفنّي تقاطعت مسيرتها مع مسيرة فتحية خيري أو التقت على نفس الدرب في يوم من الأيّام : محمّد الشيشتي عازف البيانو الذّي علّمها الأدوار والموشّحات والقصائد ورفيقة دربها حسيبة رشدي وشافية رشدي وصليحة والسيّد شطّا وخميّس الترنان ومحمّد التريكي وصالح المهدي وعبد الرزّاق كرباكة والهادي العبيدي ومحمّد العريبي وعلي الرياحي ومحمّد الجمّوسي والهادي الجويني وقدّور الصرارفي وعلي السريتي وأحمد خير الدين ومحسن الرايس... والقائمة طويلة. صيغ الكتاب بلغة سلسلة وبأسلوب مشوّق يحفّزان على قراءته وفيه من ثراء المعلومات ما يجعله وثيقة هامّة حول أيقونة من أيقونات الفنّ في تونس، ملأت الدنيا وشغلت الناس في زمانها.

ما قصّة أغنية «بابورينو» التي أهدتها فتحيّة خيري لمنصف باي ؟

حفل كتاب «فتحية خيري، فنّ وشجن» بقصص الأغاني التي أدّتها المطربة فتحية خيري ومن بينها هذه القصّة الطريفة لأغنية كُتبت كلماتها ولُحّنت في وقت قياسي، تكريما للمنصف الباي الذي دعاها إلى اصطحاب أفراد أسرته في جولة بحرية على متن مركبه الخاصّ فأرادت أن تهديه أغنية ردًا لجميله، إذ تدخّل الملك بناء على طلبها لتطليقها من زوجها الأوّل - وهو فلاح ثريّ أصيل جهة زغوان- الذي قسا عليها وأتعبها بغيرته الجنونية .

كتب فاخر الرويسي في هذا الشأن ما يلي :

«في أوّل أيام شهر ماي 1943 دعا الباي فتحيّة خيري إلى اصطحاب أفراد أسرته في جولة بحريّة على متن مركبه الخاصّ. ففكّرت في إهدائه أغنية كردّ جميل على هذه الدعوة التي سرّت بها جدًا.

وصادف أن أحيت فتحيّة حفلة خاصّة انتهت في الساعة الرابعة صباحا. فركبت» الكرّوسة» وذهبت الى ضاحية رادس حيث يقطن

عبد الرزاق كرباكة. وبعد أن فتح لها الباب اندهش من قدومها في تلك الساعة المتأخّرة. وطلبت منه بإلحاح أن يذهب معها إلى منزلها لأمر مستعجل. وأثناء الطريق اقترحت عليه نظم كلمات أغنية تتماشى وموكب النزهة البحرية التي دعاها إليها الباي.

كان عبد الرزاق كرباكة صديقا عزيزاعلى فتحية. وكانت تلتجئ إليه في الشدائد. تقول فتحيّة:

«أكّدت عليه أن يتضمّن بعض مقاطع الأغنية موقف المنصف باي معي في مشكلة طلاقي. وخرجت من الغرفة بعدما أحكمت غلق الباب من الخلف وأخذت المفتاح معي كي لا يخرج عبد الرزاق بدون أن ينجز الأغنية. ثم ذهبت إلى غرفة أخرى واستسلمت للنوم.

ولم أستيقظ إلا في منتصف النهار ففتحت باب الغرفة على كرباكة فوجدته غاضبا لنفاذ السجائر التي كانت تعينه على التفكيرعند كتابة الأشعار والأغاني. وعندما سألته عن الأغنية قال لي: «هاك غنايتك». فأخذت الورقة وقرأت طالعها فأعجبت بها ولكن لم أظهر إعجابي لكرباكة بالأغنية فاخذ الورقة من يدي وبدأ يقرأ بصوته الجميل:

بابورينو سرى عالنسمة ... شرق الموج الحي
هازز فوقو عزّ الأمّة ... سيدي المنصف باي
بابور اسم الله عليك اتهنى واطمان ... اليوم العزة حلّت بيك والهمّة والأمان
اليوم عليك إلي واتيك ... سيدي المنصف باي
بابورينو سرى عالنسمة ... شرق الموج الحي
هازز فوقو عزّ الامة ... سيدي المنصف باي
قولو معايا إن شاء يدوم ... على العرش الذي حماه
نصرة وبشرى للمظلوم ... ديما شعبو معاه
قول يا بابورينو عوم ... بسيدي المنصف باي
بابورينو سرى عالنسمة ... شرق الموج الحي
هازز فوقو عزّ الأمّة ... سيدي المنصف باي

انطلقت فتحية خيري بكلمات الأغنية مسرعة إلى قدور الصرارفي ليضع لها اللّحن. وبسرعة فائقة وحرفيّة متميّزة انتهى الصرار في من وضع اللحن. وبدأت فتحيّة في حصص التمرّن على أدائها مع فرقة «شباب الفنّ» التي كانت متكوّنة من أكبر العازفين في ذلك الوقت منهم إبراهيم صالح على القانون وصالح المهدي على الناي وعلي السريتي على العود وقدّور الصرارفي على الكمان، والطاهر بدرة على آلة الطار وغيرهم...ولم تغفل فتحية عن متابعة عزف هذه الأغنية بالعود.

RadioMed
une vague de bonheur
الموجة اللي تزهيك
Ecoutez-nous sur
NABEUL HAMMAMET 100.0 FM
GRAND TUNIS 93.5 FM
CAP BON GRAND TUNIS 104.1 FM
FM MOBILE WEB PODCASTS
Cité El Wafa Nabeul Jadida 8000 Nabeul-Tunisie
(+216) 72 32 85 00
(+216) 72 32 85 60
marketing@radiomedtunisie.com
www.radiomedtunisie.com

Votek ou la digitalisation de la démocratie participative en Tunisie !

Votek est une plateforme de vote en ligne conçue pour les associations, partis politiques, syndicats et facultés permettant d'appuyer la démocratie participative et l'engagement civique chez les Tunisiennes et les Tunisien. La plateforme Votek, dévoilée pour la première fois en août 2018, a pour objectif principal d'inciter les citoyens à s'impliquer davantage dans la vie commune et d'améliorer la participation politique des jeunes à moindres frais.
Cet espace virtuel permet également d'établir une véritable participation à distance des citoyens à la prise de décision et au suivi du travail des conseils municipaux.
Votek a par ailleurs été nommé lauréat à la compétition nationale Hack4Democracy (H4D) initiée par la Fondation internationale pour les systèmes électoraux (IFES). Cette compétition, qui a rassemblé plus de 200 jeunes de tous les gouvernorats de la Tunisie a pour objectif de mettre les dernières avancées technologiques au service de la démocratie locale et de l'engagement des jeunes. À travers la création d'applications smartphone, de logiciels et de plateformes qui proposent des solutions technologiques novatrices pour promouvoir l'intérêt général, renforcer la participation citoyenne, améliorer la gouvernance locale et accroitre la redevabilité des élus.
VoTeK est un projet issu de la compétition Hack4Democracy camps, financé par le service de coopération Suisse et MEPI le soutien technique de CynapsysGfi.

Quelle relation doit être établie entre le citoyen et la municipalité?

Le projet Votek œuvre à appuyer la démarche de la démocratie participative et à promouvoir laparticipation des citoyens dans la résolution des problèmes dans leurs communes. À travers laplateforme Votek, les citoyens peuvent proposer des projets dans leurs communes et les soumettreà un vote participatif pour approbation.

Cet espace d'échange leur permettra de présenter les propositions ou améliorations sous forme de: (photo, vidéo, présentation ou démonstration Google Street View). Votek sera un médiateur qui introduira les nouvelles technologies aux anciennes pratiques démocratiques délaissées.

Votek jouera ainsi le rôle d'un modérateur entre les parties concernés par l'affaire locale (citoyen,conseil municipale, l'administration de la municipalité). La plateforme sera un centre de collecte depropositions, suggestions ou même des commentaires. Soumis par les citoyens, toutes interactionssur la plateforme seront réceptionnées par l'administration de la municipalité qui procédera autraitement de ces initiatives dans le but de les valider à travers des réponsesaux personnes concernées qui seront également publiées sur la plateforme.

Le vote en ligne peut-il améliorer la participation politique des jeunes en Tunisie?

Votekpropose des nouvelles technologies de vote en ligne. Totalement accessible par Internet et outillé d'un niveau élevé de sécurisation de données personnelles et des votes, Votek établira une relation d'échange et un espace d'expression et d'implication entre les citoyens cibles et les associations, les syndicats, les conseils scientifiques, et les conseils municipaux. La plateforme permettra d'augmenter le taux de participation et instaurera une participation significative et active des citoyens. Tout au long des différentes étapes du vote et lors du scrutin, Votek assurera un bon déroulement des opérations menées sur la plateforme en agissant pour traiter tout éventuel incident instantanément. Votek sera un relais d'éveil et de diffusion des citoyens/électeurs à fin d'améliorer le taux de participation à travers la communication et la dissémination des compagnes sensibilisation.

Pour contacter Votek :
Immeuble Zarrad, 4eme étage, app 3.1 Rue Emerald, Lac II, 1053
Tunisie contact@votek.org
97.124.860

كانت فتحيّة من الفنانات النادرات اللواتي كنّ يحظين بتقدير خاصّ من الأمراء والبايات الحسينيين، آخرهم محمد الأمين باي الذي قلّدها «نيشان الافتخار» وهو وسام هامّ تقديرا لمكانتها في عالم الفن وباعتبارها مطربة البلاط الملكي. والثابت أنّه لم تقلّد قبلها بهذا الوسام امرأة غير زوجة الباي والفنّانة شافية رشدي».

← عزل المنصف باي ونفيه

بعد أن دحرت قوّات الحلفاء قوّات المحور، عادت فرنسا ناقمة على تونس وعلى ملكها المنصف باي. فأمعنت يوم 10 ماي في إهانته والتنكيل به أمام مقرّ الإقامة العامّة. ويوم 13 من نفس الشهر عزلته ونفته الى منطقة الأغواط بالجزائر. وبعد أن تدهورت صحّته نقلته الى «تنس» ثم الى مدينة «بو» بالجنوب الفرنسي.

فوجئ الشعب التونسي بالمعاملة الشرسة والاضطهاد المنهج الذي تعرّض له ملكه المحبوب. وفُجعت فتحية خيري وتألّمت لمصير هذا الباي الوطني المحبوب الذي أحسن إليها واصطفاها وقرّبها إليه وإلى بلاطه. وتأسّفت لعدم تمكّنها من الإبحار على متن مركبه البحري، وتحسّرت لعدم أداء الأغنية بين يديه والتي صيغت على شرفه.

لكن أغنية «بابورينو» اخترقت الرقابة الاستعمارية بعد نفي المنصف باي، وظلّت فتحيّة تردّدها في قاعة «الفتح» وفي النوادي والحفلات الحزبية والمناسبات الوطنية كلما طلبت منها الجماهير ذلك وخاصّة المنصفية منها، وأصبحت هذه الأغنية تردّد وتغنّى على كل لسان.

شركة عقارية قمرت
مقرّها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممرّ بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
الهاتف: 218 962 71 216+ أو 100 960 71 216+
الهاتف الجوال: 000 910 98 216+ الفاكس: 175 962 71 216+
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

GAMMARTH IMMOBILIERE

إعلان بيع
طلب عروض عدد 37 لسنة 2018
(2.3 هكتار بمدينة توزر "نزل الكنتنتال سابقا")

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدّولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا لحساب شركة «الخطاطيف» المصادرة في أرض مقام عليها بناية «نزل الكنتنتال سابقا» كائنة بمدينة توزر (قسط وحيد):

- أرض على شكل شبه منحرف مقام عليها بناية R+1 (نزل سابقا)
- مساحة العقار : حوالي 23.000 م^2
- مساحة البناءات : حوالي 8.500 م^2
- الرّسمان العقاريان : 1316 توزر و 1496 توزر

- **العنوان : شارع أبو القاسم الشّابي، على الحافة الجنوبية من وسط المدينة يطل مباشرة على واحة النخيل- توزر**
- **الموقع العام للعقار :** تقع الأرض على الطريق الرئيسية والسياحية لمدينة توزر ، شارع أبو القاسم الشابي، والذي يربط بين مركز المدينة العتيقة والمنطقة السياحية وهو على مقربة من متحف «دار شريط».

يحدّه من الجهة الجنوبية الشارع السياحي وواحة النخيل لمدينة توزر ومن الجهة الشرقية الشّارع السياحي المؤدي إلى حديقة الحيوانات «بلاد الحضر» ومن الجهة الغربية المدرسة السياحية بتوزر.

- **الصبغة : منطقة سياحية UT.**

تم إعداد دراسة من قبل مكتب دراسات هندسية لإعادة تهيئة الأرض المقام عليها النزل في مناسبتين سنتي 2008 و 2013، تتعلق الأولى بمشروع لتحسين وتهيئة النزل وبناء فضاء تجاري ومجمع سكني وتتعلق الثانية بمشروع بناء وحدات فندقية وفضاءات تجارية وخدماتية ومصحة.

عرفت البناية و المنشآت المقامة على العقار بعض آثار التدهور والتخريب.

يمكن الإطلاع على الأمثلة الموقعيّة للعقار على الرابط www.gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة «عقارية قمرت» أو بمكتبها بمدينة سوسة.

يتم التفويت الرّسوم العقارية موضوع طلب العروض **خالية من الرّهون أو التحملات** و ترجع ملكيتها الى الشركة العقارية «الخطاطيف»، شركة مصادرة على ملك الدولة التونسية. وإنتقلت الملكيّة إلى الشركة بمقتضى الشراء لجميع العقارات موضوع التفويت بمقتضى عقود وحجج عادلة وهي مرسّمة بالسجل العقاري بإسم الشركة.

وتخضع إجراءات التفويت الجاريّة للأحكام والبنود الواردة بكراس الشّروط النّموذجي وبنص إعلان طلب العروض.

ويتعلّق البيع بالممتلكات على الحالة التي هي عليها كما تقع معاينتها من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مسؤوليتهم.

ويدعى المهتمّون بطلب العروض إلى ربط الصلة بالجهات الإداريّة المحليّة والمصالح الفنيّة المختصّة، عند الإقتضاء وقبل المشاركة، إلى مزيد التّثبت من صبغة الممتلكات موضوع التّفويت ومن ضعيتها القانونيّة والفنّية.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في طلب العروض الحالي زيارة ومعاينة العقار الموضوع للبيع. وتجرى الزيارات بمواعيد مسبقة طيلة الفترة الممتدّة من **27 أوت إلى 10 أكتوبر 2018**. ويتمّ تحديد الموعد عن طريق طلب يقدّم إلى شركة «عقارية قمرت» طبقا للشروط المحدّدة بكراس الشروط وبعد سحبها مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائتي دينار (200 د) نقدا أو بواسطة صك يسلّم إلى القسم المالي للشركة أو بفرعها الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري.

ترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المرسل إليه : شركة «عقارية قمرت»
العنوان : نهج بحيرة أناسي – ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس
الموضوع: المشاركة في طلب العروض عدد 37 لسنة 2018
«لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكونّ ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي من جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتّبة من «أ» إلى»ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في كذلك ضمان المشاركة طبقا لمقتضيات كراسات الشروط والمحدّد جزافيا بمبلغ **خمسون ألف دينار تونسي (000 50 دت).**

حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم الخميس **11 أكتوبر 2018** على السّاعة الثالثةبعد الزوال(15س00). ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لاثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد جلسة فتح العروض العلنيةفي نفس اليوم على الساعةالثالثة والنصف بعد الزوال (15س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل).

ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم **لمدّة مائة وثمانون (180) يوما** بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.

لمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة على الأرقام (000 910 98 216+ أو 037 369 73 216+ أو 100 960 71 216+).

لـمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة أو على الأرقام:

اللّغة الكمبوديّة على الطّريقة السّريعة

الحوار

كلمة شائعة، سارية، على أيّامنا هذه؛ كأنّها العصا السّحريّة التي تفلق البحرَ، وتشقّ فيه للعابرين سبيلا. المشكلة أنّ المتحاورين لا يتكلّمون نفس اللّغة... امرأة عجوز تجرّ زوجها إلى مَدْرسة اللّغات؛ ومديرة المدرسة تهشّ وتبشّ: «تفضّلي، سيّدتي؛ أنا في خدمتك»؛ والمرأة التي تعيش سنوات اليأس تقول: «أنا وزوجي نريد أن نتعلّم اللّغة الكمبوديّة، على الطّريقة السّريعة المستعجلة»؛ والمديرة تداري دهشتها: «ولماذا الكمبوديّة؟ هذه لغة تكاد تنقرض؛ لماذا لا تختارين الإنجليزيّة، أو حتّى الصّينيّة؛ ولماذا الدّروس السّريعة؟»؛ والزّوج يهمّ بالكلام، وامرأته تَكزُه وتقول: «الحقيقة أنّنا تبنّينا صبيّا كمبوديّا، له من العمر سنة واحدة؛ وبعد أشهر قليلة، ربّما في أكتوبر أو نوفمبر 2019، يفكّ الرّبّ عقدة لسانه، ويبدأ الكلام؛ ونريد أن نفهم ما يقول!». ساسة البلد يريدون أن يتعلّموا اللّغة الكمبوديّة!...

عجوزان متقاعدان يجلسان في حديقة عموميّة يدردشان؛ قال الأوّل يشكو حالَه: «يا عمّار؛ حياتي أصبحت جحيما! أعتقد أنّ زوجتي صارت طرشاء؛ وأنا لم أتعوّد التّخاطب بالإشارات»؛ وصاحبه يقول: «معك حقّ؛ هذا أمر مزعج جدّا؛ ولكن، هل أنت متأكّد من ذلك؟»؛ والعجوز يجيب: «لا أستطيع أن أجزم، ولكنّها لم تعد تردّ عليّ»؛ وعمّار يضرب أخماسه في أسداسه: «اسمع يا صاحبي؛ عندما تعود إلى البيت هذا المساء، قفْ بعيدا عنها خمسة أمتار، ثمّ كلّمها؛ فإذا لم تجبك، فتقدّم مترا؛ بينكما أربعة، ثمّ ثلاثة، ثمّ متران اثنان، ثمّ متر واحد؛ فإذا لم تجبك، فاعلم أنّ الأمر قد حُسم، ولا عزاء لك!»...وعجّلَ العجوز بالرّجوع إلى بيته باكرا، على غير عادته؛ وامرأته في المطبخ، تدير له ظهرها؛ وهو على الباب، يسأل: «ماذا أعددتِ للعشاء يا عزيزتي؟»؛ والمرأة لا تردّ؛ وخطوةٌ إلى الأمام؛ والرّجل يعيد سؤاله؛ والمرأة لا تردّ؛ وخطوة أخرى إلى الأمام؛ والرّجل يرفع صوته بالسّؤال؛ والمرأة لا تردّ؛ ثمّ دنا، حتّى جانبَها: «يا عزيزتي، ماذا أعددت للعشاء؟»؛ والمرأة تجيب: «للمرّة الرّابعة، أعيد وأكرّر، سَمَكًا وحساء. هل صرتَ أطرش؟»...من الأطرش؟ الشّعب أم الحكومة؟

قال رئيس الحكومة: «أعلنّا الحرب على غلاء المعيشة»؛ ولكنّ الحكومة أخطأت الميدان، فهي تخوض حربها خارج محيط المعركة، بعيدا عن ساحة الوغى...جنديّ لم يدخل معمعةً من قَبْل، ألقت به الظّروف في أتون حرب مستعرة، فاستبدّ به الرّعب، في ليلة ظلماء، لا ينير ظلمتَها إلاّ وميض القذائف، فلمّا هاله الأمر، ألقى سلاحه، وأطلق ساقيه للرّيح؛ فمازال يجري ويجري، وهو بالكاد يرى، حتّى اصطدم بضابط، منتصب، في كبرياء، على ربوة، فرفع يده المرتعشة بالتّحيّة: «عفوا، أيّها الملازم!»، فردّ الضّابط: «لست ملازما»؛ فتلعثم الجنديّ: «عفوا أيّها القبطان!»؛ فزعق الضّابط: «لست قبطانا، أنا جنرال!»؛ فتنفّس الجنديّ الصّعداء: «آه! إذًا أنا بعيد جدّا عن ميدان المعركة!»...أين تقف الحكومة؟ أكاد لا أراها في أتون المعمعة.

ص.و.